جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللّغات
قسم الآداب واللّغة العربية

مذكرة ماستر

تخصّص : لسانيات عربية

إعداد الطّالب:
زهرة صيفي

يوم:09/09/2020

المنحى التّداولي بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب

لجنة المناقشة:

باديس لهويمل	أ.د/	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
عزيز كعواش	أ.د/	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرّرا
بن حمزة	أ. د/	جامعة محمد خيضر	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب ((70-71))

مقدمـــة

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم وبه نستعين والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء ومن والاه إلى يوم الدّين أمّا بعد:

يشهد المنهج اللّسانيّ الحديث تطوّرًا كبيرًا في المقاربات اللّسانية ؛التي اتّخذت من اللّغة موضوع دراسةٍ لها منذ بدايات القرن العشرين، لغة امتدّت يدُها لتطال كلّ ناطقٍ بها على حدٍّ سواءٍ، فلم تفرّق بين عربيٍّ ولا غربيٍّ ولا ناطقٍ حصيف ضليعٍ بها، ولا عاميٍّ بسيطٍ تكلّم بها، فظهرت على إثرها مناهج عدّة كانت البنيويّة في طليعتها والوصفيّة عمادُ دراسة لها؛ مهّدت لأعمالٍ ومناهج ونظريّات عدّة جاءت بعدها وقد غيّرت جذريًّا مسار البحث اللّسانيّ وحاولت استدراك القصور الذي شاب ما سبقها فأفضت إلى تصوّرات جديدة للّغة، استدركوا بها ما تغافل عنه الأوّلون وبنو على إثرها نظريات جديدة كان مردّها تيّارات عديدة تبنّوها وساروا على نهجها.

إنّ قِوام اللّغة محاورٌ عدّة تتضافر المناهج على تحديدها وإبرازها كلٌّ بوجهة تميّز بها عمّن سبقه و تلاه، وجهة لم يتوان صاحبها في نقد سابقيه ودحض آرائهم ويأتي بجديد من خلالها أو رؤية يتبنّاها ويسير على نهجها ويضيف عليها، فكانت غايتهم واحدة وهي اللّغة فجعلوا منها وسيلة وأداة؛ معتبرينها لعبةً في يّد المتكلّم يتلاعب من خلالها بالمعاني تارة، ومتلقٍّ يستشفّ من خلال ذلك الكلام ما هو مُضمرٌ ومخفيٌّ تارة أخرى.

وهي رؤية أو بالأحرى تصوّرات تجلّت في الدّرس التّداولي بالتّحديد، وكان لها ما يوافقها في منهجي لسانيات النّص ولسانيات الخطاب. وهذا ما دعانا إلى تسليط الضّوء

على هاته المناهج الثّلاثة إيمانا منّا على الوقوف ومعرفة مدى ارتباط وتقاطع وتعالق كلٍّ منها بالآخر، و لذلك كان هذا الموضوع موسوما بـ "**المنحى التّداولي بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب**".

إنّ المنهج الذي يتناسب مع هذا النّوع من الدّراسات هو المنهج الوصفي بآلياته التّحليليّة؛ كونه عماد الدّراسات اللّغويّة بلا منازع مستعينين بالمنهج المقارن؛ الذي عكفنا من خلاله على عقد مقارنة بين منهجي التّداوليّة ولسانيات النّص تارة وبين التّداولية ولسانيات الخطاب تارة أخرى.

ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لسببين اثنين: أوّلهما علمي؛ لقيمة هاته المناهج الثّلاثة في حقل الدّراسات اللّغويّة الحديثة ولمعرفة صدى المنهج التّداولي بين هذين المنهجين، وثانيهما: سبب ذاتي يتمثّل في شغفنا الشّديد في معرفة هذا النّوع من الدّراسات ؛الذي يُكسب الباحث ملكة لغويّة ويساهم في إثراء رصيده المعرفيّ وفي نفس الوقت يفتح أمامه المجال الأوسع للتّوغّل بين هاته المناهج.

ومن خلال تلك الأسباب التي أدرجناها آنفا باعتبارها محفّزا لنا ومدعاةً لدراسة هذا الموضوع، فقد جاءت إشكالية الدّراسة كالآتي: إلى أيِّ مدى تجلّت التصوّرات التّداوليّة بين منهجي لسانيات النّص ولسانيات الخطاب، وهل كان التّعالق بينها سطحيّا من خلال المصطلحات فقط أم متداخلا ومتغلغلا في عمق المفاهيم؟

وللتّكفّل بالإجابة عن هاته الإشكاليّة والإلمام بموضوع الدّراسة اتّخذ هيكل البحث الصّورة التّنظيميّة التالية:

خصّصنا الفصل الأوّل منها للمفاهيم والتّعريفات لكلٍّ من المناهج الثّلاثة، فكان المبحث الأوّل فيها حول الجهاز المفاهيمي للدّرس التّداولي؛ ويضمّ ماهية التّداوليّة ورُواده، ونشأتها ومحاورها، وقد تمّ في هذا المبحث التّعريف بمصطلح التّداولية

لغة واصطلاحا عند الغربيين ثمّ إلى صداها عند العرب لنمرّ بعد ذلك إلى نشأتها وصولا إلى أهمّ القضايا التي تقوم عليها. فيما عرّجنا إلى مبحث ثانٍ وقد خصّصناه للّسانيات النصيّة أوّلا ثمّ لسانيات الخطاب ثانيا، فتناولنا فيه تعاريفا للنصّ لغويّا واصطلاحيا عند الغرب كما عند العرب، فاقتصرنا بذلك على تعريف جامع مانع للسانيات النّص مستوفي لكلّ المعايير السّبعة لروبيرت ديبوجراند التي يقوم عليها هذا المنهج، لنتطرّق بعد ذلك إلى تعريف مصطلح الخطاب الذي دعانا لإيراد جدليّة ضمّت تفرقة لكلا المصطلحين "النصّ والخطاب".

أمّا الفصل الثّاني فقد تناولنا فيه مباحث ثلاثة؛ خصّصنا الأوّل منها في تفرقة خاصّة للإحالة بين منهجي التّداوليّة ولسانيات النّص؛ تناولنا الإحالة فيه بكونها عنصرا من عناصر الاتساق عند النّصانيين وكذا عند علماء التّداول، فيما عكفنا في المبحث الثّاني على السّياق عند النّصانيين كما عند علماء التّداول، وهذا الذي فرض علينا الوقوف عند مبحث ثالث ألا وهو المقصديّة من خلال هذين المنهجين.

مختتمين نهاية كلّ مبحث في هذا الفصل بنتائج تتجلى في تعالق وارتباط كلا المنهجين في النّقاط الثّلاث قيد الدّراسة، فيما اختتمنا عرضنا هذا في فصل ثالث طرحنا من خلاله ثلاثة مباحث أخرى؛ فجعلنا الأوّل منها حول محور أفعال الكلام عند التّداوليين، ووقفنا فيه على مدى تجلّي هذا المحور في الخطاب ذلك الذي أوصلنا إلى أصولٍ له عند القدامى. كما كان لنا مرورٌ خاصّ لمبحث ثانٍ حول المقصديّة عند التّداوليين في الخطاب وصولا إلى مبحثٍ ثالثٍ، تضمّن مفاهيمًا للسّياق بصفة عامة عند التّداوليين مما أرشدنا إلى تعريفات للسّياق الثّقافي تحديدا باعتباره عنوان مبحثنا هذا.

ولكي نتتبّع أصول هاته المناهج ومحاورها؛ استعنّا بجملة من الدّراسات السّابقة التي كانت لنا خير دليل استأنسنا بها واحتججنا بآراء أصحابها وقد مكّنتنا من تحديد وجهات مختلفة أحيانا ومتوافقة أحيانا أخرى، مما جعلتنا نقف عند كلّ جديد.

ونذكر من هذه الدّراسات كتاب **فيليب بلانشيه** "**التّداولية** من **أوستين** إلى **غوفمان**" ؛والذي كان الموصّل لهذا العلم والزّاد الذي اغترفنا منه أهمّ المصطلحات والمفاهيم، ولكي نفكّ أيّ لُبس يواجهنا أو صعوبات نذلّلها استعنّا بكتاب **مسعود صحراوي** الموسوم بـ "**التّداوليّة عند العلماء العرب**" ؛ كتاب تميّز فيه صاحبه بلغته البسيطة وأسلوبه السّلس الذي يتأتّى لأيّ باحث مبتدإ.

كما استعنّا بكتاب "**دراسات وبحوث مختارة**" الذي كان لجملة من العلماء المتميّزين والمتمكّنين من ناصيّة هذا العلم عنوانه " **تساؤلات التّداولية وتحليل الخطاب**"؛ فكان عبارة عن مقالات عدّة ضمّت أهمّ الآراء التي قِيلت في هذا العلم لذا قد اغترفنا منه ما تيسّر، وكتاب **عمر بلخير** "**مقالات في التّداولية والخطاب**"؛الذي استفدنا منه ومن آراء أصحابه.

ولقد واجهتنا صعوبات عدّة؛ كان لها الأثر السّلبيّ علينا عكس ما كنّا نتطلّع ونصبو إليه،منها صعوبة الإلمام بالمادة العلمية لكثرة الآراء التي قيلت في هذا العلم، وهاته الظّروف الرّاهنة لوباء كورونا مما ولّد ضغطا رهيبا، جعلنا ماكثين في البيوت ممّا حال دون الوصول للمكتبات التي تحوي الطّبعات الجديدة.

وفي الأخير لا يسعننا إلّا تقديم جزيل الشّكر والعرفان والتّقدير لأستاذي المشرف الدكتور "**عزيز كعواش**"؛ الذي كان الموجّه والمعقّب بمعلوماته القيّمة وملاحظاته التي كانت في صميم بحثنا، والمؤطّر لحدود هذا البحث دون استزادة ولا نقصان فكان بمثابة الإنارة التي أضاءت لنا كلّ ركن في هذا البحث والسّبب المباشر لاختيار هذا الموضوع، وكان المحفّز والمصوّب بأسلوبه السّليم ومعلوماته القيّمة التي أرجو أن تكون قد أوفيناها حقّها من خلال تقديمٍ مشرّفٍ لهاته المذكّرة والتي لا تعدو أن تكون ولو جزءا بسيطا ممّا قدّمه لنا خلال مشوارنا الدّراسيّ في الجامعة كما نشكر كلّ شخص كان قريبا أو بعيدا منّا؛ ساهم في تذليل أيّ صعوبة واجهتنا ولو كانت صغيرة.

الفصل الأول:مفاهيم حول لسانيات النّص والخطاب واللسانيات التداولية

- **المبحث الأوّل: الجهاز المفاهيمي للدّرس التّداولي المعاصر**
- **المبحث الثّاني: لسانيات النّص ولسانيات الخطاب في اللّسانيات العامة**

المبحث الأول: الجهاز المفاهيمي للدّرس التّداولي المعاصر

ظهرت اللّسانيات وظهرت معها اتّجاهات عدة اختلفت في مفاهيمها ومصطلحاتها، وانفرد كلّ اتّجاه منها بمنهج خاص ميّزها عن سابقاتها، وقد كان للتّداولية حظ كبير من كل هذا وذاك حيث تميّز فيها أعلام عدّة، وعرّفوها تعاريف مختلفة نذكرها فيما بعد .

1-مفهوم التّداولية

1-1- لغة

قبل أننلج لتعريف التّداولية في اصطلاح الدّارسين المحدثين، كان لزاما علينا أن نعرّج ونؤصّل لهذا المصطلح في معاجمنا اللّغوية والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تعريف" **ابن منظور**" في " **لسان العرب**" تحت مادّة (دَ.وَ.لَ) قوله:« دَوَلَ، الدَّولةُ والدُّولَةُ العقبة في المالِ والحربِ، وقيل الدُّولة، بالضَّمِ في المالِ،والدَّولة بالفتح في الحربِ ...وقال الزَّجَاجُ، الدُّولة اسم الشَّيءِ الذي يُتداولُ، والدَّولة الفعل والانتقالُ من حالٍ إلىحالٍ »[1]

ويتّجه "**الزّمخشري**"في تعريفه للتّداولية اتّجاها لا يبتعد فيه عن صاحبه بالشّيء الكثير ؛ فكانت عنده تداولٌ للشَّيء الواحد بين أشخاصٍ عدّة،وفي ذلك يقول:« دَوَلَ، دَالت لهُ الدَّولةَ، ودَالت الأيّامُ بكذا، وأدالَ اللهُ بين فلان من عدُوِّهم، جعل اللهُ لهم الكرَّة لهم عليهِ

[1] – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)،"**لسان العرب**"، د.ط،بيروت:دار صادر، مجلّد11، مادة دَوَلَ، ص 225.

وتداولُوا الشَّيءَ بينهم والمَاشي يُداولُ بين قدميهِ يُراوحُ بينهمَا، وتقولُ دواليكَ أي دالت لك الدّولةُ كرّةً بعد كرَّةٍ » [1].

يشترك كلا التّعريفين في أنّ التّداول هو تَغاير، أوهو اِنتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ آخر بين شخصين أوأكثر لشيءٍ واحدٍ.

1-2- اصطلاحا

1-2-1-عند الدّارسين الغربيين

تعدّدت التّعريفات حول مصطلح" **pragmatique**" وتباينت بتعدّد الدّارسين وذلك باختلاف وجهاتهم وركائزهم التي ينطلقون منها، فاختلف كل دارس منهم بوجهة معيّنة ميّزته عن أقرانه؛ فمنهم من ذهب في تعريفه مذهبا فلسفيا ومنهم من اتّجه في ذلك مذهبا لسانيا بحتافي حين هناك من جنح في تعريفه لهذا المصطلح وجهة سيميائيّة، وهو "**شارل موريس(charles Moorris)**" الذي يرى أكثر الدّارسين في تعريفه أقدم تعريف للتّداولية وأنّ له فضل تقديم هذا المصطلح كجزء من نظرية العلامات،كما يمكن النظر إلى اللّغة الطبيعية على أنّها حالة خاصة من وظيفة العلامات[2].

وفي ذلك يأخذ تعريف موريس شيئا من الاتِّساع، حيث يقول فيه :« أنّ التّداولية جزء من السّيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[3] ».

كما نجد وجهة أخرى لسانية بحتة عند كل من" **آن ماري دبير(Maarie Diller**

---

[1] – الزّمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) ،" **أساس البلاغة** "، تحقيق محمد باسل عيون السّود د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية،1988،ص 303 .

[2]– ينظر دراسات و بحوث مختارة ، "**تساؤلات التداولية و تحليل الخطاب** "، ترجمة حافظ إسماعيل علوي و آخرون ،ط1 ، عمان : دار كنوز للنّشر و التّوزيع ، 2016 ،ص 41.

[3] – فرانسواز أرمينكو، "**المقاربة التّداولية**" ، ترجمة سعيد علّوش،ط1، د. بلد: المؤسسة الحديثة للنّشر و التّوزيع ، 1987،ص 12 .

Anne)" و "**فرانسوا ريكاناتي(framçois Rècamati)** " اقتصرا فيها على التّواصل عن طريق الخطابات؛حيث يقولان أنّ التّداولية« دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شاهدةً في ذلك على مقدرتها الخطابية[1] » .

وإلى هذا المنحنى يتّجه كل من **م.ديلر(A.M.Diller)وف.ريكاناتي(f.Recanati)**، ويأخذ هو الأخر طابعًا تخاطبيّا يوافق فيه ما جاء في التّعريف السّابق، والذي مفاده «أنّها تمثّل دراسةً تهتم باللّغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصّة به قصد تأكيد طابعه التّخاطبي »[2].

في حين يذهب "**أوستين(Austin)**" في تعريفه للتداولية وجهة فلسفيّة ويعتبر العمل التّداولي عملا فلسفيا؛ ذلك أنّ وظيفة اللّغة عنده ليست مجرّد أداة للتّعبير كما عهدناها ولا وسيلة للتّفكير فقط، بل تتمثل وظيفتها حسب قوله في التّأثير على العالم وصياغته وصناعته[3].

ونجد في هذا التعريف أنّه أشمل وأوسع من التّعريفات السّالفة الذكر لكونه اشتمل على كلّ ما من شأنه إبراز وإيضاح المقاصد بين التّعبيرات الرّمزية في سياقات ومقامات مختلفة باعتبار التّداولية مجموعة البحوث المنطقية اللّسانية،أوهي بالأحرى الدّراسة التي تُعنى باستعمال اللّغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التّعابير الرّمزية والسّياقات المرجعية، والمقامية والحدّية والبشرية .[4]

---

[1] – فرانسواز أرمينكو ،" **المقاربة التداولية** "، ص.12.

[2] – فيليب بلا نشيه،"**التّداولية من أوستين إلى غوفمان** "، ترجمة صابر الحباشة، ط1،سوريا: دار الحوراء ،2007،ص18–19 .

[3] – ينظر عبد الفتاح أحمد يوسف،"**لسانيات الخطاب و أنساق الثّقافة** "،ط1، بيروت : منشورات الاختلاف،الدّار العربية للعلوم ناشرون،2010،ص 318 .

[4] – **المرجع نفسه**، ص18.

تجمع جل التّعريفات السّالفة الذّكر على أنّ التّداولية كغيرها من الاتّجاهات أوالنّظريات الأخرى التي تجعل اللّغة موضوعا للدّراسة،بيد أنّها تختلف في سبل تمثيل ذلك، كما تهتم بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال؛ فهي تتعامل مع ما هو مجسّد في الواقع بين مقاصد المتكلم وفهم السّامع لها في سياق ومقام معينين .

1-2-2- عند الدّارسين العرب :

قبل أن نلج إلى تعريف مصطلح "**pragmatique**" عند الدّارسين العرب علينا أن نشير إلى مشكلة التّعدد في هذا مصطلح، ذلك أنّها مشكلة تعتري العلوم في العربية بشكل عام والعلوم اللّسانية بشكل خاص،فهذا المصطلح كغيره من المصطلحات اللّسانية الأخرى عرف إشكالية فحواها التّعبير عن المفهوم الواحد بعدّة مصطلحات مقابلة .

وفي هذا المقام نجد" **خليفة بوجادي**" يسرد لنا عدّة تسميات مقابلة لهذا المصطلح ، والتي هي على النّحو الآتي:« البراغماتية والبراغماتك، والبراجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه المصطلحات فرق بعدها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية وقيل التّداولية، المقامية، الوظيفية، السّياقية، الذّرائعية، النّفعية »[1].

كما يرجع "**خلفية الميساوي**" شكل هذه المقابلات العربية لهذا المصطلح في تكوينها باللّسان العربي إلى عدّة مظاهر منها : المظهر الاستعمالي الذي نتج عنه مصطلح التّداولية والمظهر الذّرائعي الذي نتج عنه مصطلح الذّرائعية والمظهر النّفعي الذي نتج عنه مصطلح النّفعية والبعد البراغماتي الذي هو جامع لما سبق من المقام مصطلح البراغماتية[2].

---

[1] – خليفة بوجادي، "**في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في التّرس العربي القديم**"،ط1،الجزائر: بيت الحكمة،2009 ،ص 65.

[2] – ينظر خليفة الميساوي، "**المصطلح اللّساني و تأسيس المفهوم** "، ط1، الرباط : دار الأمان، 2013، ص110.

وكما كان الحال في تعريف مصطلح التّداولية عند الدّارسين الغربيين، فقد لقي هذا المصطلح صدى عند الدّارسين العرب أيضا حين تلقفوه بالتّرجمة والتّعريب والتّعريف على يد ثلّة من الباحثين والّذين نذكر من بينهم"**حافظ إسماعيل علوي** "؛

الذي يظهر جليا في تعريفه للتّداولية ذلك التأثير الواضح بتعريف" **موريس**" لها حيث اقتصر اهتمامه بتلك العلاقة التي بين العلامة اللّغوية ومؤوليها،وفي ذلك يقول :« إنّ اللّسانيات التّداولية هي في الوقت نفسه علم استخدام العلامات ولسانيات الحوار ونظريّة الأفعال اللّغوية،وهي العلم الذي يعالج العلاقة بين العلامات ومؤوليها في نظر موريس،كما أنّها تستخدم اللّغة داخل الخطابات والسّمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللّغة » [1].

وفي هذا الاتّجاه أو المنحى يسير "**جميل حمداوي**"هو الآخر ويركز أيضا على العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات،بيد أنّه يأخذ حيزا أشمل من التّعريف السّابق فيدخل السّياق ويجعله مجال اهتمامها من خلال «أنّ التّداوليات هي ذلك العلم الذي يدرس المعنى مع التّركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسّياق أكثر من اهتمامها بالمرجع أوبالحقيقة أوبالتّركيب »[2].

أمّا عن تعريف هذا المصطلح، أو هذا الاتّجاه كما يرد عند البعض؛ فتذهب "**مريم الشّنقيطي**" في تعريفها للتّداولية لتشمل مجالا أوسع من سابقيها فتهتم وتركّز في دراستها على العلاقة بين جميع عناصر العملية التّخاطبية بين متكلم لتلك اللّغة وسامع لها لتشمل السّياق،وتراعي بذلك مقاصد المتكلم وظروفه وكيفية وصول الكلام للسّامعين؛ فهي إذن تهتم بدراسة العوامل التي تؤثّر بشكل خاص في اختيار الشّخص للّغة التي تعبّر عن

[1] – حافظ إسماعيل علوي و منتصر أمين عبد الرّحيم،"**التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكملة**"، ط1،عمان : دار كنوز المعرفة العلمية للنّشر و التّوزيع،2013،ص24 .

[2] – جميل حمداوي،" **التّداوليات و تحليل الخطاب**"،ط1،د. بلد : مكتبة المثقف،2001، ص 9 .

مقاصده التي يريد ايصالها للسّامع وتأثير ذلك الاختيار على الآخرين[1].

في حين يقتصر" **مسعود صحراوي**" على أبسط تعريف للتّداولية حيث يركز فيه على وظيفة اللّغة التّواصلية؛إذ يرى أنّها ليست عنده علما لغويا محضا بالمعنى التّقليدي الذي كان سائدا،علما يكتفي بوصف وتفسير البُنى اللّغوية ويتوقّف عند حدودها، بل هي عنده علم جديد للتّواصل يدرس الظّواهر أثناء استعمالها .[2]

إنّ التّداولية تهتم بكل ما من شأنه التّواصل، فهي علم المقاصد كما يقال عند الكثير من الباحثين، ولما كانت التّداولية تعنى بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال؛فإنّ دراستها ترتكز على العملية التّخاطبية في عناصرها التي يسهم كلّ واحد منها في تشكيل وتحوير وتغيير الخطابيين مقاصد المتكلم وفهم السّامع لها في سياق ومقام معيّنين .

1-2- نشأة التّداولية

اللّسانيات التّداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التّفكير الفلسفي على يد **سقراط** وتبعه فيها "**أرسطو** "والرّواقيون بعد ذلك، لكنها لم تظهر إلى الوجود كنظريّة في الفلسفة إلاّعلى يد "**هربيرت بيركلي (H.Berkli)** " الذي كشف عنها بطريقة جديدة لم يسبقه إليها فيلسوف آخر حتى توسّعت بعد ذلك في العقود الثّلاثة الأخيرة،فكانت تغذيها جملة من العلوم كعلم النّفس المعرفي وعلم الاجتماع، والفلسفة التّحليلية[3]؛ هذه الأخيرة التي يذكر أنّها تؤصل لبداية الدّرس التّداولي الحديث في انطلاقها من مفهوم الفعل فيها، وعلى ما

---

[1] – ينظر مريم التنقيطي،" **الخطاب ألإشهاري في النّص الأدبي دراسة تداولية** "، د.ط، ردمك : دار الفيصل الثقافية،ص 144 .

[2] – ينظر مسعود صحراوي، "**التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي** "،ط1،بيروت :دار الطليعة للطباعة و النشر، 2005،ص 16.

[3] – ينظر نعمان بوقرة،"**لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء** "، ط1،بيروت : دار الكتب العلمية،2012، ص73.

أوضحه"**أوستين**" في كتابه "**hou todo thinhs with words**"على أنّ المبدأ التّداولي أوّل ما قام على مبدأ أنّ اللّغة فعل تواصلي بما يحدثه من أثر في المخاطبين [1].

كما يمكننا أن نرجع البدايات الأولى للتّداولية إلى" **شارل سندرس بيرس** " وذلك حين كلامه عن ثلاثية العلامة اللّسانية؛إذ صنّف العلامات في ثلاث مجموعات وهي :[2]

- **العلامة الرّمز:** وترتبط بالمرجع بواسطة عرف ثقافي، وقد أكّد "**ديسوسير (dessossu**اعتباطيتها .
- **العلامة الإشارة:** وهي علامة لا تشتغل إلاّ في الورود طالما أنّ وجودها يتبع سياقا ما،مثل الدّخان والنّار.
- **العلامة الأيقونة:**وهي علامة تشارك المرجع في عدد من الخاصيات التي يتوفّرعليها،مثل الرّسم التّصويري.

واعتباراً لما تقدّم فإنّ" **بيرس(Peirce)**" قد ألزم بوضوح الدّراسة اللّغوية بالمنظور التّواصلي والدّلالي الذي يسمى المقاربة التّداولية التي تُعنى بورود العلامة، هذا وقد أخذ" **موريس**" عن" **بيرس**" الثالوث الدّلالي معدلا فيه لفظ المدلول حين أعاد مفهمته واضعا في ذلك له تسمية جديدة وهي المسمّى "**Desihmatum**"الذي يظل مختلفا عن المؤول أوالشّيء المحيل أوالمرجعي؛ هذا الأخير الذي يحيل على صنف من الأشياء أكثر من كونه يحيل إلى شيء محدّد وفي هذا المسمى يمكن أن يكون جزئيا، ومن هذا كلّه فإنّ "موريس" يلحّ على وجود العلامة غير مشروط بالوجود الملموس المرجع المشار إليه، فالتّداولية عنده قسم من الدلالية يُعنى بالصّلة القائمة بين العلامة ومستعمليها[3].

---

[1] – ينظر خلفية بوجادي ،"**في اللّسانيات التّداولية مقارنة بين التّداولية و الشّعر دراسة تطبيقية** "، ص17 .

[2] – ينظر فيليب بلانشيه ،" **التداولية من أوستن إلى غوفمان**" ،ص42.

[3] – **المرجع نفسه**، ص 43-44.

و يقدّم لنا"**حافظ إسماعيل علوي**"مقالا يسرد لنا فيه لمحة عامّة عن التّداوليات في أوروبا خلال القرن التّاسع عشر، وذلك من خلال رسمه لثلاث تيارات شكّلت الفكر التّداولي، وهي :[1]

- ✓ **الفرع الفرنسي**:الذي يدرس السّمات الذّاتية في الكلام .
- ✓ **الفرع الألماني**:الذي يدرس السّمات الحوارية في اللّغة،علاوة على وظيفة اللّغة التي تحدّد التأثير في الآخرين .
- ✓ **الفرع الإنجليزي** : الذي انشغل ابتداءً من القرن الثّامن عشر بتحليل الأفعال اللّغوية بوصفها عمليات اجتماعية،ويمكن أن نضيف هذه التّقاليد الثّلاثة ذات الجذور الأوروبية تقليدا رابعا وهو النّسخة الأمريكية المنبعثة عن الذّرائعية Pragmatisme.

2 – أهميّة التّداولية

إنّ الحديث عن اللّسانيات التّداولية يفترض الإشارة إلى ما يربطها بعديد الحقول المعرفية المختلفة من علاقات كونها تنتمي إلى مجالات مفاهيمية متداخلة والتي نذكر منها؛ قوامة التّخاطب، وآليات الاستدلال والاستلزام التّخاطبي، وعمليات الإنتاج والتأويل وظروف الاستعمال، هذا ويؤكد لنا العديد من العلماء على كون التّداولية تمثل جسرا يربط علوما مختلفة؛كالفلسفة التّحليلية التي سبق لنا ذكرها، واللّسانيات وعلم النّفس المعرفي وعلوم التّواصل بشكل عام.[2]

وينقل لنا"**سعيد علوش**"عن" **فرانسواز أرمينكو**" أهمية التّداولية التي تجلّت عنده في مجموعة من الأسئلة نفصّل فيها في المباحث الآتية الذّكر،حيث يجعل أهمّيتها في كونها تهتم بمختلف الأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية في النّص الأدبي المعاصر؛ لأنّها تحاول الإطاحة بعديد الأسئلة من قبيل:

---

[1]– ينظر دراسات و بحوث مختارة ،" **تساؤلات التّداولية و تحليل الخطاب** "،ص 9.

[2] – ينظر حافظ إسماعيل علوي و منتصر أمين عبد الرّحيم،"**التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة** "،ص 161.

- من يتكلّم و إلى من يتكلم ؟
- ماذا نقول بالضبط حين تتكلم ؟
- ماهو مصدر التّشويش و الإيضاح؟
- كيف تتكلّم بشيء و تريد قول شيء آخر؟[1]

ويقول أيضا:« ومن ثمّ تستدعينا التّداولية للإجابة عن هذه الأسئلة إلى استحضار مقاصدنا وأفعال لغتنا وسياق تبادلاتنا الرّمزية والبعد التّداولي لهذه اللّغة المستعملة،لذلك وُجد مفهوم الفعل، ومفهوم السّياق، ومفهوم الإنجاز في التّداولية كمقاييس ومؤشرات على اتّجاهات النّص الأدبي في النّظرية النقدية »[2].

ومن هذا كلّه نستنتج أنّ أهميّة التّداولية تكمن في كونها جسرا أونقطة اشتراك بين عديد من المجالات المفاهيمية وعديد العلوم المختلفة التي تتقاطع فيما بينها لتستخلص لنا جملة من الأسئلة تطرحها التّداولية على النّص الأدبي المعاصر بفرعية (النّص/الخطاب) لتجيب عنها في الأخير باستحضارها لعناصر الخطاب.

3- مستويات التّداولية

يقسّم"**مارتن (Martin)**" التّداولية إلى مستويات ثلاثة يميّز فيها بين العلاقات الدّاخلية والخارجية بين مستخدمي اللّغة وكذا ضروب التّواصل بينهم، وهي على الشّكل الآتي:[3]

- **المستوى الأوّل:** من التّداولية يتعامل مع العلاقة بين مستخدمي اللّغة؛ أي المتكلّم

والمستمع بالتّركيب والدّلالة وفونولوجيا اللّغة التي يستخدمونها؛ إذ هي تلك العلاقات الخارجية البعيدة عن عقل المستخدمين التي تتطلّبها جميع الأنحاء Grammars، هذا

[1] – ينظر فرانسواز أرمينكو، "**المقاربة التداولية** ، ص 8-9.

[2] – **المرجع نفسه**، ص 9.

[3] – ينظر دراسات و بحوث مختارة ،" **تساؤلات التّداولية و تحليل الخطاب** "، ص 51-52.

ويتضمّن هذا المستوى وظائف الإشارات، والإحالة إلى الأشخاص غير الموجودين في النّص والتّنغيم المعطى لتأكيد عنصر ما مرغوب و غير مرغوب.

- **المستوى الثّاني؛** من التّداولية يهتم بالعلاقات الدّاخلية بين المستخدمين من مثل العلاقة داخل عقل المستخدمين التي تجمع بين هؤلاء المستخدمين وسياقهم الاجتماعي؛ ويتضمّن هذا المستوى الافتراضات المسبقة والمعاني المقترحة،ولعلّ باحثي اللّغة الطبيعية لا يصلون مباشرة إلى المعلومات الخاصّة بهذا المستوى.
- **المستوى الثّالث؛** من التّداولية يتعامل مع التّواصل الذي يجري بين مستخدمي اللّغة موضع الاعتبار؛ وأعني بهذا التّواصل جميع أنواع تبادل الأفكار،وفي هذا المستوى بالذّات يمكن التّغاضي عن أخطاء التّواصل،ودراسة كفاءة التّواصل البشري اللّفظي الذي لا يتضمّن أيّ مفهوم للعقلانية بمعنى النّقل الفاعل للمعلومات.

4-قضايا التّداولية

ترتكز التّداولية على قضايا أوبالأحرى مفاهيم عديدة كثيرا ما يتناولها الدّارسون المحدثون في أبحاثهم وكذا كتبهم ومقالاتهم بالتّحليل والتفصيل والتّمحيص؛ معتبرينها أساسيات يقوم عليها الدّرس التّداولي وهي:

4-1- أفعال الكلام

تولّدت هذه النّظرية من رحم الفلسفة والمنطق؛إذ مدينة بوجه خاص لآراء "**فتجنشتاين (wittgemstein)** "التي تبنّاها في البداية "**أوستين**"بعده فيما قام بتعميقها "**سيرل**" من تقسيمات قدموها واستندوا من خلالها لقوّتها الإنجازيّة[1]؛ والتي سنفصّل الكلام فيها فيما بعد في الفصل الثاني.بيد أنّ ذلك لا يمنعنا من إعطاء لمحة بسيطة وذلك من

[1] – ينظر ليلى كادة ، "**المكوّن التّداولي في النّظرية اللّسانية العربيّة ظاهرة الاستلزام التّخاطبي أنموذجا** "، أطروحة لنبيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللّسان العربي ،جامعة الحاج لخضر ، باتنة (كلية الآداب و اللّغات ، قسم اللّغة وآدابها)، ص 49.

خلال قول" **خليفة بوجادي** " في كتابه المعنون بـ "**في اللّسانيات التّداولية** "،والذي يقول فيه :« تعدّدت أقسام الأفعال، لكن أهمّ ما يميّزها جميعا أنّها تقوم على مبدأ حصول الفعل في الواقع وكيفيّة أدائه لإحداث سلوك ما لدى المتلقِّي أو تعديله ».[1]

4-2- الافتراض المسبق

وفي كل تواصل لسانيّ ينطلق الشّركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتّفق عليها بينهم[2]، وفي هذا القول تفصّل "**ذهبية حمو الحاج**" في كتابها الموسوم بـ:"**لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب**" والذي مفاده :« ينطلق أصحاب نظرية التّواصل من المعطيات الأساسية التي تنتقل من المتكلّم إلى المتلقي ويفترض أن تكون معروفة ولكنّها غير صريحة عند المتحدّثين ... ومن الممكن وصف الافتراضات المسبقة على أنّها أفعال كلامية افتراضيّة "Actes de parole présuppositonnel" فهي في نفس درجة الأمر والاستفهام (المخاطب) ولهذا الأخير القدرة على الطّاقة وتأويل القول ». [3]

وفي هذا يشير" **حافظ إسماعيل علوي** "على أنّه في مقابل العبارات التي يثبتبها المتكلّم أقواله فقد يوجد في اللّغة عبارات تسمح بتمرير بعض الأحداث دون إثباتها وهذا ما يُدعى **بالافتراض المسبق،** وللتّوضيح أكتر في هذا الأمر أوهذه الفكرة نأخذ الأمثلة الآتية:

كل أطفال أمينة في عطلة،دون إثباتها بشكل صريح تفترض أنّ أمينة متزوّجة؛ فحقيقة هذا الافتراض المسبق تكثّف حقيقة الملفوظ الشّامل الذي يحتويه، وبالتّالي قولنا يستمر زيدا في القمار، تفترض أنّ زيدا كان يقمّر سابقا، وجملة قضية نهاية الأسبوع في

---

[1] – خليفة بوجادي ،" **في اللّسانيات التّداولية مقارنة بين التّداولية و الشّعر دراسة تطبيقيّة** "، ص 142.

[2] – ينظر مسعود صحراوي، "**التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي** "، ص30 .

[3] – حمو الحاج ذهبية،" **لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب** "، ط 2، تيزي وزو: دار الأمل،2012، ص 136 .

البيت تفرض أنّي أملك بيتا، والكشف عن الافتراض المسبق؛ يتمّ بتحويل الجملة إلى حالة النّفي أو حالة الاستفهام.[1]

4-3- الإشاريات

الإشاريات كغيرها من العناصر الأخرى تسهم في تحديد دلالة الوحدات اللّغوية بشكل عام والتّركيب بشكل خاص، ولكي يحصل ذلك يستعين السّامع بعناصر خارجية محيطة، وفي هذا المقام يفصّل "**خليفة بوجادي**" فيقول:« للإشاريات بأنواعها دور بالغ في تحديد دلالة التّركيب،ليس من حيث معناها النّحوي فحسب بل لأنّها من الوحدات اللّغوية التي يقتضي الإلمام بمعناها معرفة خارجيّة وإلماما بعناصر محيطة بعمليّة التّواصل لتحديد دلالتها،فلو قام خطيب في النّاس قائلا مثلا : يوم غر ...فإنّه ينبغي لحصول الدّلالة كاملة، أن يكون السّامعون كالخطيب عالمين بطبيعة اليوم وذكراه أو الحديث الذي يمثله، وهذه المعرفة هي اللاّزمة لمعنى العبارة العامّة ولن يحصل تواصل بالعبارة دونها »[2].

وفي هذا يشير إلى أنماط إشارية ثلاث ندرجها على الشكل الآتي:[3]

- **الإشاريات التّشخيصيّة:** وهي اللّواحق التي تسير إلى معان في شخص المتكلّم أو السّامع أوفي أحد عناصر التّركيب والدّلالة التي تشير إليها لازمة للإلمام بالدّلالة العامّة للتّركيب، وذلك نحو:

✓ أن يشير المتكلّم إلى معرفة سابقة لدى شخصه وعلى السّامع إدراكها نحو قوله:لكل يوم عن الأبطال أخبار؛ فهو يشير في هذا التّركيب إلى صورة شخصيّة في ذهنه عن حال الأبطال وعلى السّامع الإحاطة بملابسات هذه الصّورة لبلوغ الدّلالة كاملة.

---

[1] – ينظر حافظ إسماعيل علوي و منتصر أمين عبد الرّحيم، "**التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة** "، ص 172 .

[2] – خليفة بوجادي ، "**في اللّسانيات التّداولية مقاربة بين التّداولية والشّعر دراسة تطبيقيّة** "، ص 54.

[3] – ينظر **المرجع نفسه** ، ص 54-58 .

- ✓ أن يشير إلى معان يفضّلها الشّاعر أوتحدّد موقفة من الخطاب.
- ✓ أن يشير إلى معرفة مشتركة بينه وبين السّامع، وعلى السّامع أن يستحضرها لحصول الدلالة الكاملة.

- **الإشاريات المكانيّة:** هي لواحق تشير إلى كلّ مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلّم ويدركه السّامع لتنجح العمليّة التواصليّة:

- ✓ أن يشير الشّاعر إلى مكان صريح معلوم وينبغي على السّامع أن يكون عارفا له تحديدا بكلّ ما يمكن أن يتعلّق به، وإلاّ أخفق في تلقي الخطاب.
- ✓ أن يشير الشّاعر إلى مكان اتّجاهي صريح نحو مشرق ومغرب أو مبهم نحو خلف، ولن يدرك ما لم يعرف وضع المتكلّم و مكانه تحديدا.

- **الإشاريّات الزّمانيّة**

هي لواحق تدلّ على ما يرتبط بزمان الخطاب وما ينبغي أن يدركه السّامع من الدّلالات الزّمنية الضرورية لإدراك المعنى كاملا، ومن ذلك فإنّ دورها في تحقيق المعنى وإنجازيته لا يختلف عن دور اللّواحق الأخرى، ومن أنماطها:

- ✓ أن يشير الشّاعر إلى زمن مبهم من حيث الدّلالة النّحوية، ولكي يتعرّف السّامع على الحيّز الزّمني المقصود في الخطاب، على الشّاعر أن يستخدم كلمات مثل:غدا، اليوم، الشّهر، الزّمن ...
- ✓ أن يشير الشّاعر إلى زمن عام مشترك بين المتكلّم والسّامع،على نحو استخدامه لكلمة الدّنيا فبقدر ما يكون مفهومها متقاربا بينهما بقدر ما تقوى إنجازية الخطاب ونجاحه.
- ✓ أن يشير الشّاعر إلى الزّمن بغير ملفوظاته المعروفة، وهكذا يكون السّامع بحاجة إلى أن يعرف كل ما يتعلّق بها.

5- الاستلزام الحواري (التّخاطبي)

تصبّ نظريّة"**جرايس (H. p .grice)** "في إطار ما يُسمى بنظريّة الاستلزام المعاصرة التي لا يتعدى ميلادها قرابة ثلاثة عقود تقريبا، هذا و يعود الفضل في بلورتها وتنميتها إلى الفيلسوف اللّغوي" **جرايس**"[1]، حيث تقوم هذه النّظرية على فكرة جوهرية وهي أنّ جمل اللّغة تدلّ في غالبها على معان صريحة وأخرى ضمنيّة تتحدّد دلالتها داخل السّياق الذي وردت فيه[2].

ومن ذلك لاحظ بأنّ المتخاطبين عندما يتحاورون فإنّهم يتّبعون عددا معيّنا من القواعد الضّمنية اللاّزمة في أثناء تواصلهم،وأنّه في ما إذا وقع حرف في أحد تلك القواعد فلا يتم التّواصل؛ ولإثبات هاته نظرية وضع" **جرايس**" مبدأ عاما أسماه مبدأ التّعاون والذي ينصّ على أربع قواعد هي:[3]

- ✓ **قاعدة الكمّ(Mascim of quantity)**: وتتفرّع هذه القاعدة بدورها إلى مقولتين هما:
  - لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.
  - لا تجعل إفادتك تتجاوز الحدّ المطلوب.
- ✓ **قاعدةالكيف(Mascim of quality)**: والقصد منها منع ادّعاء الكذب وتتفرّع بدورها إلى:
  - لا تقل ما تعلم خطأه.
  - لا تقل ما ليس لك عليه دليل .

---

[1]- ينظر ليلى كادة،" **المكوّن التّداولي في النّظرية اللّسانية العربية ظاهرة الاستلزام التّخاطبي نموذجا** "، ص 106 .

[2]- **المرجع نفسه**، ص 107.

[3]- ينظر عيسى تومي،" **الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية من آيات من سورة البقرة** "، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد : 01، مجلد :08،2019،ص 44 .

- ✓ **قاعدة العلاقة أوالملاءمة (Mascim of manner):** وخلاصتها ليناسب مقامك، أي أن يجعل المتكلّم كلامه ذا علاقة بالموضوع.
- ✓ **قاعدة الجهة (Mascim of manner):** وهي ترتبط بما يراد قوله،وتتفرّع بدورها إلى:
  - لتختر زمن الالتباس.
  - لتحترز من الإجمال.
  - لتتكلّم بإيجاز.
  - لترتّب كلامك .

وفي هذا المقام يقول" **طه عبد الرّحمن**" :« والقاعدة الرّابعة تنزل منزلة الجهة إذا أنّها تشترط مراعاة صحّة المعاني وفصاحة الألفاظ، كما تشترط هذه القاعدة إتّباع أساليب الوضوح، فإذا خرج الكلام عن هذه القواعد كان مختلّ المعنى ومستغلق اللّفظ [1]».

التّداولية كنظرية جاءت لتغيّر مسار الدّراسات اللّغوية بعدما كانت لغويّة بحتة تدرس اللّغة في إطارها الدّاخلي بعيدا عن السّياق الخارجي،هذا الأخير الذي أعادت التّداولية الاعتبار له وأصبحت تدرس اللّغة إطارها الاستعمالي، فكان لزاما علينا أن نؤصّل لتعريف هذا المصطلح عند الغربيين من أمثال أوستين وسيرل وغيرهم، وكذا الدّارسين العرب.

فيما بحثنا بعد ذلك في نشأة هذا المنهج منذ كان مجرّد تفكير فلسفيّ وإلى أن اكتمل كنظريّة واضحة المعالم على يد ثلّة من اللّغويين الغربيين اللّذين كان لهم فضل التّعريف بهذا الاتّجاه.

[1]– طه عبد الرحمن،"**اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي**"، ط1، الدّار البيضاء : المركز الثقافي العربي،1998،ص 205 .

وقد عرّجنا فيما بعد على أهمية التّداولية مختتمين هذا الجزء بأهمّ القضايا في الدّرس التّداولي المعاصر، هاته الأخيرة التي أُعتبرت العمود الفقري الذي يقوم عليه هذا المنحى.

المبحث الثّاني : لسانيات النّص ولسانيات الخطاب في اللّسانيات العامة

أولا-اللّسانيات النصيّة

قامت لسانيات النّص على تجاوز لسانيات الجملة التي جعلت من الجملة أكبر وحدة للدّراسة إلى ما هو أوسع منها شكلا ودلالة، حيث أخذت تهتم بنية النّص اللّغوي وجعلته جلّ اهتمامها على اعتبار هذا النّص منطوقا أكان أومكتوبا معتبرة إياه أكبر وحدة للدّراسة والبحث، وقد حظيت بذلك بنصيب وافر الاهتمام والدّراسة طيلة السّنوات الأخيرة.

1-تعريف النّص

يجدر بنا قبل التطرّق لمفهوم النّص في كتب المحدثين أن نعود بهذا المصطلح قليلاً إلى علمائنا القدامى في تراثنا العربي وذلك في بعض من معاجمنا التي سنذكر منها:

1-1-لغة

تجمع جلُّ التّعريفات على الرّفع والارتفاع والغاية والمنتهى،وفي ذلك يورد صاحب "**لسان العرب**" تحت مادة (نَ صَ صَ):« النَصُّ : رفعك الشَّيءَ،نَصَّ الحَديثَ يَنصُّهُ نَصًا، رفعهُ وكلُّ ما أظهرَ فقد نصَّ. وقال عمرو بن دينار:ما رأيتُ رجلاً أنصَّ للحديث

من الزَّهريّ أي أرفع له وأسند يُقال نصَّ الحديثَ إلى فلان أي رفعهُ وكذلك نصَصتُهُ إليهِ، ونصَّت الظبية جيدها، رَفَعَتهُ »[1].

وهذا ما يذهب إليه أيضا صاحب "**القاموس المحيط** "،فيقول :« نصَّ الحديثَ إليهِ، رفعهُ، وناقتهُ، استخرجَ أقصى ما عندها من السَّير،والشَّيءِ: حرَّكهُ،ومنهُ فلان ينصُّ أنفهُ غضبًا، وهو نصاصُ الأنفِ ... والعروسُ، أقعدها على المنصَّةِ بالكسر،وهي ترفعُ عليه فانتصَّت، والشَّيءَ :أظهرهُ،والشّواء ينصُّ نصيصًا: صوَّت على النَّار، والقِدرُ غلت والمنصَّةَ بالفتح، الحجلة من نصَّ المتاع »[2].

1-2- اصطلاحا

1-2-1-النّص عند العرب القدامى

ارتبط مفهوم النّص عند العرب عموما بما هو مكتوب وخاصة القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشريفة،والتّفاسير، وهذا ما نلاحظه عند علماء الأصول وأولهم "**الإمام الشّافعي** رحمه الله"، وذلك حينما ينقل لنا عنه "**خلفية الميساوي**" تعريفا مفاده :« ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج من التّنزيل فيه إلى غيره »[3].

كما يستدلّ به في الحكم على الأشياء وذلك في تعريف "**ابن حزم** "؛ الذي يربط النصَّ بكل لفظٍ ورد في القرآن الكريم والسُنَّةِ النبويّة الشريفة[4].

---

[1] – ابن منظور (أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم)،"**لسان العرب** "، مجلد1، مادة نَصَصَ، ص 97.

[2]– الفيروز أبادي (مجد الدّين محمّد بن يعقوب)، "**القاموس المحيط**"، تحقيق مكتب التّراث في مؤسّسة الرّسالة محمّد العرقسوسي، ط1، بيروت: مؤسّسة الرّسالة للنّشر والتّوزيع، 2005، ص632.

[3] – خلفية الميساوي،" **المصطلح اللّساني و تأسيس المفهوم** "، ص 33.

[4] – ينظر خالد صبري،" **اللّسانيات النصيّة في الدّراسات العربية الحديثة بحث في الأطر المنهجيّة و النّظرية** "، ط1، بغداد، الرباط،الجزائر،بيروت : دار مكتبة عدنان، دار الأمان، 2015، ص 44.

1-2-2- النصّ عند العرب المحدثين

أمّا عند العرب المحدثين فقد تأثّروا في عمومهم بما ورد في الدّراسات الغربية، حيث يورد لنا"**صبحي إبراهيم الفقي**" تعريفا للنصّ يأخذه كما هو عن "**ديبو جراند (R.debeaugrande)** " والذي يشترط فيه سبعة معايير لكي يكون النصّ نصّا، وإذا ما تخلّف واحد من هذه المعايير زالت عنه صفة النّصية؛الاتّساق والانسجام، والقصد والقبول والمقبولية، الإخبارية أوالإعلام، المقامية، والتّناص[1].

أمّا"**جميل حمداوي**" فالنّص عنده في دلالته الحقيقية عبارة عن نسيج من الجمل المترابطة والمتداخلة والمتتابعة، فلا يمكن إدراك المعنى منه إلاّ بتتبّع ألفاظه واستقصائها جملةً جملةً بُغية الوصول إلى المعنى والغاية وإدراج الفائدة المرجوّة[2].

ويذهب"**نعمان بوقرّة** "في تعريفه للنصّ على أنّه :« وحدةٌ كبرى شاملة تتكوّن من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من النّاحية النّحوية، وعلى مستوى عمودي من النّاحية الدّلالية، ومعنى ذلك أنّ النّص وحدة كبرى لا تتضمّنها وحدة أكبر منها »[3].

من خلال هاته التّعريفات الثّلاثة نستخلص أنّ النصّ عندهم هو نسيجٌ من الجمل؛ قوامه عدّة عناصر تتكاثف فيما بينها لتعطينا ما يسمّى بالنصيّة.

1-2-3- النّص عند الغربيين

إذا ما حاولنا استخلاص المقومات الأساسية لمصطلح النصّ لدى أولئك اللّسانيين واللّغويين الغربيّين عبر دراساتهم وبحوثهم المختلفة نجد تعدّدا في اتّجاهاتهم؛ فهناك من

---

[1]-ينظر صبحي إبراهيم الفقّي، "**علم اللّغة النّصي بين النّظرية و التّطبيق** "، ط1، القاهرة: دار قباء، الجزء 1، 2000، ص33.

[2] – ينظر جميل حمداوي،" **محاضرات في لسانيات النص** "، ط1، المغرب:مكتبة المثقف، 2015، ص9.

[3] – نعمان بوقرة ، "**المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب دراسة معجمية** "، ط1، الأردن، جدار للكتاب العالمي، 2009 ، ص42 .

يعرّفه حسب الشّكل وهناك من يعرّفه انطلاقًا من المضمون وبعضهم يعتمد في تحديده للنصّ من خلال الوظيفة التي يؤدّيها .

الاتّجاه الذي يحتكم فيه أصحابه إلى الشّكل يرى فيه "**باختين (bahhtin)**" أنّ النصّ:« سواءً كان مكتوبا أم شفهيا يعتبر مادة أوليّة تقوم بتحليلها الألسنة والفلسفة والنّقد الأدبي وغير ذلك من العلوم المجاورة »[1].

كما نجد اتّجاها آخر يحتكم فيه أصحابه إلى المضمون في تحديدهم لماهية النّص، ومن هؤلاء نجد"**سوينكي (S ounhi)**"الذي يربط بين النصّ ومضمونه فيرى أنّ الاهتمام ينصبّ على المضمون أوّلا فالنّصوص عنده« إبداعات لغوية يستدعيها واقع معيّن أو وجهة نظر فعلية معيّنة، ويجب أن تُدرك في إطار هذه الخاصية على أنّها أنبه للمعنى » [2].

وهذا ما يتّجه إليه أيضا" **سميث (Smith)**" محدّدا النصّ في ذلك من جهة المضمون الذي يرى أنّ حدّ النصّ هو كلّ تكوين لغوي منطوق من حدث اتّصالي، هذا الأخير الذي ينظر إليه ويحددّه من جهة المضمون والذي يؤدي بدوره وظيفة اتّصالية يمكن توضيحها على أنّه يحقّق إمكانية، أي قدرة إنجازيه جليلة ومن خلال وظيفة إنجازيه يقصدها المتحدّث وشركاؤه في الاتّصال[3].

أمّا فيما يخص الاتّجاه الثّالث فلم يبق النصّ بالمفهوم التّقليدي بالنّظر إليه من خلال اتّجاهاته الباطنية التي تعرّفه من خلال مكوّناته الدّاخلية، إنّما ارتقى إلى مفهوم جديد من خلال الوظيفة التي يؤدّيها والتي تتحقّق على مستويين هما؛ المكوّنات السّطحية

---

[1] – صلاح فضل، "**بلاغة الخطاب و علم النّص** "، د.ط، الكويت: عالم المعرفة، 1992، ص233.

[2] – سعيد حسين بحيري، "**علم لغة النص المفاهيم و الاتّجاهات** "، ط1، القاهرة: دار نوبار للطباعة،1997، ص105.

[3] –ينظر **المرجع نفسه**، ص81.

التي تمثّل علامات لغوية تربطها علاقات نحوية لتشكيل المعنى والمكوّنات العميقة التي تمثّل تصوّرات تربطها علاقات دلالية[1].

وفي هذا اعتمد الباحث" **سميث**" على ما يسمّى بنظريّة السّياق الاتّصالي التي يتحدّد للنصّ من خلالها وظيفة معنيّة، حيث يقول في هذا الصّدد :« وعلى عكس الاتّجاهات الباطنية التي تعرّف النصّ بالنّظر إلى مكوناته، فإنّ الآراء الجديدة تعتمد في نظريّة النصّ على السّياق الاتّصالي وما يتضمنه عمليا، وترى أنّ النّصوص ليست سوى مجموعة من الرّموز اللّغوية المعبّرة وأنّ وظيفتها إنّما هي الاتّصال الاجتماعي »[2].

نستخلص في الأخير من خلال هاته التّعريفات أنّ النصّ لا يعدو أن يكون إلاّ وحدة لغويّة لا هي جملة واحدة ولا هي مجموعة نصوص بل هي؛ إبداعات لغويّة يستدعيها مؤلّف ما لتعبّر عن خلجاته وعن تصوراته التي يبثّها من خلال كلمات وجمل متتابعة لتوصل مقاصد ورسائل يتلقفها متلق أو مستمع لها .

2- تعريف لسانيات النّص

تشعّبت مفاهيم لسانيات النّص وتباينت عند علماء اللّغة المحدثين لتباين الاصطلاحات التي دلّت عليها، ولا يسعنا في هذا المقام أن أفصّل في هذا المصطلح بإدراجنا لكل تلك التّعاريف التي قِيلت في هذا الشأن، بيد أنّنا سنكتفي بإيراد تعريف ارتأيناه جامعاً مانعاً هو للّغوي "**أحمد مداس**" الذي يرى أنّ اللّسانيات النصيّة فرع من فروع اللّسانيات العامة، التي تُعنى بدراسة مميّزات النّص من حيث تماسكه ووظيفته الإبلاغية، محدّدا إياه من خلال محاور أدرجها في ثلاث نقاطٍ وهي:

- الحدّ والمفهوم وما يتّصل بهما.
- المحتوى التّواصلي وما يرافقه من عناصر ووظائف لغوية.

[1] – ينظر نعمان بوقرّة ،" **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**"، ص43.

[2] – سعيد حسن بحيري،" **علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات** "، ص119.

- التّماسك والاتّساق وما أُصطلح عليه بالنصيّة[1]؛ هذه الأخيرة التي تمثل قواعد صياغة النّص التي حدّدها "**دي بوجراند**" في سبعة معايير وهي:

الاتّساق والانسجام يتصلان بالنّص في ذاته، والقصد والقبول يتّصلان بمستعملي النّص، بالإضافة إلى الإعلام والسّياق والتّناص، فهي معايير تتّصل بالسّياق المادي والثقافي المحيط بالنّص[2]، هذه المعايير التي سنبسط القول فيها فيما يلي.

3- المعايير النّصيّة

وفي هذا المقام يجنح "**يوسف نور**" في كتابه الموسوم بـ : "**علم النّص ونظريّة التّرجمة**"، و يحذو حذو اللّغويين الذين سبقوه ويعيد لنا آراء"**دي بوجراند**" حول مفهومه لعلم النّص.

هذا الأخير الذي أتى بتلك الإجراءات أوكما يسميها بالمبادئ التي شكلّت عنده فكرة النّصانية، حتى وإن بدا اختلاف في مصطلحاته عن مصطلحات "**ديبوجراند**"، غير أنّ هذا الاختلاف لا يعدو أن يكون اختلافا في مفاهيمها، وهذه المبادئ أو المعايير ندرجها كالآتي:[3]

- ✓ **التّناسق أوالاتّساق (cohésion)**: والمقصود به الطّريقة التي ترتبط بها الأفكار في بنية النصّ السّطحية أوهي التّشكيل النحّوي للجمل والعبارات وما يتعلّق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك.
- ✓ **التّرابط الفِكروِي أوالانسجام (cohérence)**: والمقصود به الطّريقة التي ترتبط بها الأفكار في داخل النصّ بحيث يمكن استعادتها مرّة أخرى وهذا يتطلب وجود

---

[1] – ينظر أحمد مداس،" **لسانيات النّص نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعري** "، ط2، الأردن، أربد: جدار للكتاب العالمي، علم الكتب الحديث، 2008، ص3 .

[2] – ينظر نعمان بوقرة ،" **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجميّة** "، ص142.

[3] – ينظر يوسف نور عوض، "**علم النّص وعملية التّرجمة** "، ط1، مكّة المكرّمة: دار الثّقة للنّشر والتّوزيع،1410هـ، ص51-59.

منطلق للأفكار مبني على الخبرة وما يتوقّعه النّاس من النّصوص في هذا المجال.

- ✓ **القصد(intentionality)**: ومفاد ذلك أنّ النصّ ليس بنيةً عشوائية اعتباطية وإنّما هوعمل مقصود به أن يكون متناسقا ومترابطا لكي يحقّق هدفا معينًا، وبمفهوم آخر هو عمل مخطّط يستهدف به تحقيق غاية بعينها أوهدفا بعينه، وبالطّبع فإنّ منشيء النصّ بصورة كاملة، إذ يظل هناك دائما مدى لاحتمال الإخفاق .
- ✓ **الموقِفانِية(situationaly)**: ويعني هذا العنصر ضرورة أن يكون النصّ موجّها ليتلاءم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره، وهذا حسب طبيعة الموقف فقد يكون مباشرا يمكن إدراكه من البيئة أوغير مباشر يمكن استنتاجه من خلال التأمّل، وهذا العنصر يستلزم وجود اثنين يتعاملان مع النصّ أحدهما مرسل والثّاني مستقبل.
- ✓ **الإخبارية(informativity)**: ويرى"**دي بوجراند**" أيضا في أنّ الإخبار هو عنصر مهم من عناصر النّصولكن درجته تختلف من نص إلى آخر وذلك بحسب نوعه وغايته، ولكن المؤكد هو أنّ كلّ نّص يجب أن يشمل على قدر من المعلومات الإجبارية .
- ✓ **القبول(Acceptability)** ويقصد به مدى استجابة واستيعاب المتلقي للنصّ وقبوله له ، ولا شكّ أنّ هناك مدى لاحتمال المتلقي من هذه النّاحية .
- ✓ **التّناص (interlexuality)** : ويرى "**دي بوجراند**" أنّ هذا العنصر هو أهم العناصر في نظرية أنواع النّصوص، وذلك ما يشير إليه أيضا"**أحمد الزّعبي**" فيقول:« التّناص في أبسط صوره يعني أن يتضمّن نصّ أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التّضمين أو التّلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثّقافي

لدى الأديب بحيث تندمج هذه النّصوص أوالأفكار مع النصّ الأدبي وتندمج فيه ليشكّل نص جديد واحد متكامل »[1].

ثانيا–لسانيات الخطاب

ومثلما كان الحال في لسانيات النّص التي جعلت من النصّ موضوع دراسة لها وجعلت له قواعد ومعايير تبنّتها واتّبعها في تلك الدّراسات، تأتي لسانيات الخطاب هي الأخرى كاتجاه أو وصف أو مقاربة وتجعل الخطاب محل اهتمامها ومجال دراستها هذا الأخير الذي شكّل مدار اختلاف الدّارسين وتضارب آرائهم بين من يفرق بينه وبين النّص و يجعل لكل منها مفهومه الخاص وبين من يجعلهما كلا واحدا، هذا الإشكال الذي سنبسط فيه القول فيما بعد.

1- تعريف الخطاب

1-1- لغة

لا يخرج مصطلح الخطاب من دائرة الأمر أوالشّأن في تعريف "**ابن منظور**"له فيما يخص مادة (خَ. طَ. بَ) ، والذي يقول فيه:« خَطَبَ : الخَطبُ : الشَّأنُ أو الأمرُ ، صغُرَ أو عظُمَ : و قيل هو سببُ الأمرِ، يُقال : ما خطبكَ ؟ أيما أمرُكَ ؟ و تقول : هذا خَطبٌ جلِيلٌ،وخطبٌ يسيرٌ.والخطبُ : الأمرُ الذي تقعُ فيه المُخَاطَبةُ، والشَّأنُ والخالُ ».[2]

يشترك تعريف "**ابن فارس**" مع تعريف "**ابن منظور**" عن الخطابِ، في أنّه الأمر الذي يقعُ، فيما يأتي "**ابن فارس**" في تعريفه هذا بشيء من التّفصيل على أنّه الكلام الذي يدور بين اثنين، وفي هذا يوضّح:« خَطَبَ : الخَاءُ والطَّاءُ والبَاءُ أصلانِ : أحدهما

[1] – أحمد الزّعبي،" **التّناص نظريا و تطبيقيا** "، د.ط، عمان: مؤسسة عمون للنّشر و التّوزيع ،2000، ص 11.

[2]– ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم الإفريقي المصري) ،" **لسان العرب**" ، مجلّد1، مادة خَطَبَ، ص 360 .

الكلام بين اثنين، يُقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة: الكلام والمخطوب به ... والخَطبُ: الأمر يقعُ، وإنَّما سُمِّي بذلك لما يقعُ فيه من التَّخاطبِ والمراجعةِ ». [1]

ومن ذلك فالخطاب هو الكلام المتلفّظ به أوالمخطوب بين شخصين، منجز للخطاب هذا الأخير الذي يستلزم بطبيعة الحال مستمعًا له.

1-2 – اصطلاحا

لا نكاد نلمح تعريفًا موحدًا لمصطلح الخطاب عند اللّغويين المحدثين وذلك لاختلاف منطلقاتِ ومرجعياتِ كلِّ واحد منهم، بيد أنّ هاته التّعريفات لم تخل من اتّفاق ولو كان ذلك بالشّيء القليلفكان كثيرَ الورود في أعمالهم حتى بات من المسلَّمات هذا الذي جعل الكثير منهم لا يورد له تعريفا خاصا في الكثير من الأحيان.

بدأ مصطلح **الخطاب** يأخذ حيزا واسعا في الدّراسات المعاصرة التي شهدت تحوّلات متلاحقة في إدراك اللّغة منذ "**ديسوسير(Saussure)**" ، وتمييّزه بين اللّغة والكلام، ثمّ بدراسات الشّكلانيين الرّوس، ومن ذلك فإنّ دراسة الخطاب هي الّسبيل الأمثل لدراسة الشّكل الأدبي لأنّها تُعنى بدراسة خصائص هذا الشَّكل وتحدّد هويته وتميّزه عن سائر الخطابات ذات العلاقة به سواءً أكانت هذه الخطابات خطابات أدبية أو غير أدبية، وقد ساد مفهوم الخطاب في مختلف التيارات كاللّسانيات والبلاغة والعلوم الاجتماعية

والسّياسية والتّداولية [2].

هذه الأخيرة التي تتعامل مع "النصّ الأدبي باعتباره خطابًا وملفوظًا لغويا ذا كليّة عضوية سواءً أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا حيث نربط ملفوظاته بالوظيفة والسّياق المقامي والأداء لإنجازي[1].

---

[1] – بن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا) ،" **مقاييس اللّغة** "، تحقيق عبد السّلام بن هارون ، د.ط ، د. بلد : دار الفكر، ج2، ص 198 .

[2] – ينظر مريم الشنقيطي،" **الخطاب الاشهاري في النصّ الأدبي دراسة تداوليّة** "، ص 12 .

لا يسعنا في هذا المقام أن ندرج تعريفات للخطاب ذلك أنّنا سنتناول جدليّة أوإشكاليّة النصّ والخطاب، ومنه سنسرد بعض التّعاريف لهذا المصطلح من خلال آراء الباحثين حول هذه القضية.

ثالثا-جدليّة النصّ والخطاب

إنّه لمن القضايا الشائكة في الدّراسات اللّسانية الحديثة تحديد المفاهيم وضبطها لكثير من المصطلحات وعلى رأسها مصطلحا الخطاب والنّص اللّذين استحوذا على اهتمام أغلب الدّارسين منذ الأزل، حيث اختلفوا في تحديد العلاقة بينهما فهناك من الدّارسين من يعتبرهما مصطلحين لمفهوم واحد فيقيم هذا مكان ذاك ولا يرى أيّ فرق بينهما ومنهم" **منذر عياشي**" من العرب، و" **جوليا كرستيفا(J.Kristiv)** "من الغرب، وهناك من يُقرّ الفرق بينهما على أساس أنّ كل مصطلح مستقل بمفهومه وهذا الفريق ذهب مذاهب شتّى في إثبات الفرق بينهما[2].

1 – اتّجاه يساوي بين النصّ والخطاب

يذهب"**حمو الحاج ذهبيّة**" المذهب الذي يرادف ويساوي بين النصّ والخطاب، فيقول:« حدّدنا فيما سبق – كون الخطاب يرادف الملفوظ Enoncé أو هو ملفوظ أكبر من الجملة، تصورات تقترب كثيرا من مفهوم النّص إن لم تكن مرادفه له، وإنّ الخطاب يصبح ضمن الممارسة اللّغوية ووسيلة للمعرفة وبالتّالي يتحوّل إلى نّص ».[3]

وفي نفس الوجهة يسير "**بول ريكو (P.Ricoeur)**" مساويا هو الآخر بين النصّ والخطاب وُفق معادلة ينصّ عليها، ينقلها لنا" **منذر عيّاشي**"، وهي« أنّ المرء ربما يميل

---

[1] – ينظر جميل حمداوي ،" **التّداوليات و تحليل الخطاب** "، ص 14 .

[2]– ينظر بلقاسم محمد خمام،" **مفاهيم تحليل الخطاب في التّراث العربي ابن وهب رائدا** "، جامعة الملك فيصل، الأحساء ، المملكة العربية السّعودية، المجلّد 13، العدد2، ص27 .

[3]– حمو الحاج ذهبية ،" **لسانيات التّلفظ و تداولية الخطاب** "، ص155 .

إلى القول، إنّ الكتابة تُضاف إلى كلام سابق عليها ... كلُّ نصّ يمثّل بالنّسبة إلى اللّغة ما يمثله الكلام في وضعيّة الانجاز وسيكون النصّ بمقتضى هذه المعادلة أو قياسا عليها: أداء لسانيا وانجازا لغويا يقوم به فرد معيّن ... [1] فالنصّ إذا كما جاء في تعريفه هو الخطاب الذي تمّ تثبيته بواسطة الكتابة »[2].

وفي هذا المنحى أيضا نجد"**جوليا كرستيفا**" وهي ترادف بين النصّ والخطاب هي الأخرى فهي ترى أنّ النصّ خاضع لتوجّه مزدوج، نحو النّسق الذي ينتج ضمنه[3]لسان ولغة مرحلة ومجتمعا محددّين، وأيضا نحو السّيرورة الاجتماعية التي تساهم فيها كخطاب[4].

2-اتّجاه يفرّق بين النصّ والخطاب

وفي هذا الاتّجاه نجد العديد من الباحثين يفرقون بين النصّ والخطاب ويجعلون لكلٍ منها مفهومه الخاص الذي يتميّز به عن الآخر، ولقد اقتصرنا على ذكر البعض من هؤلاء فقط .

ويفرد لنا"**مايكل ستابز(M.Stubbs)**" فروقات عدّة بين النصّ والخطاب وينوّه إلى أنّ النصّ قد يكون مكتوبا في بعض الاستخدامات في حين أنّ الخطاب شفاهي، وقد يكون النصّ غير تفاعلي، بينما الخطاب عكس ذلك وهو تفاعلي وقد يكون النصّ قصيرا أو طويلا في حين الخطاب يدلّ على طول مؤكّد، ولابد للنصّ أن يتّسم بتماسك سطحي في حين لابدّ للخطاب أن يتميّز بتماسك أعمق.[5]

---

[1] – منذر عيّاشي، "**الأسلوبية وتحليل الخطاب** "، ط1، حلب: مركز الانتماء الحضاري، 2002، ص128 .

[2] – **المرجع نفسه**، ص129 .

[3] – ينظر جوليا كرستيفا،" **علم النصّ** "، ترجمة فريد الزّاهي، ط2، الدّار البيضاء: دار توتقال للنّشر، 1991، ص9.

[4] – **المرجع نفسه** ، ص10.

[5] – ينظر سارة ميلز،" **الخطاب** "، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2016، ص15.

يقول "**جيوفري ليتش(Geffrey Leech)**" وَ" **مايكل شورت(M.Short)**"« أنّ الخطاب تواصل لغويّ يُنظر إليه باعتباره عملية تُجرى بين متكلم ومستمع أو تفاعل شخصيّ يحدّد شكله وغرضه الاجتماعي، والنّص تواصل لغوي ، سواءً شفاهيٍّ أومكتوب ينظر إليه باعتباره رسالةً مشفّرة في أداتها السّمعية أو البصريّة » . [1]

ارتبطت لسانيات النّص كغيرها من المناهج باللّغة وجعلتها مدار اهتمامها ومجال دراستها فتميّز فيها أعلام عدّة وعرّفوها كلٌّ حسب المصطلح الذي ارتضاه،ولقد أوردت عدّة تعريفات للنّص عند الغربيين كما عند العرب وهذا الذي استلزم بسط القول في المعايير السّبعة" **لروبيرت دي بوجراند** "التي تشكل النصيّة عنده فلا يكون النصّ نصّا إلاّ بها.

كما تطرّقنا أيضا إلى لسانيات الخطاب هاته الأخيرة التي تعتبر هي الأخرى مقاربة للخطاب الذي اقتصرنا فيه على التّعريفات اللّغوية في حين بسطنا القول في جدلية النّص والخطاب التي انقسم الدّارسون فيها اتّجاهين اثنين؛اتّجاه فرّق بينهما وجعل لكلّ منهما مفهومه الخاص، واتّجاه آخر جعلهما كلا واحدا.

ارتبطت الدّراسات والبحوث في لسانيات النصّ ولسانيات الخطاب، كما في التّداولية بنظريّات متعدّدة تباينت عند الغربيّين كما عند العرب، وأدلى كلٌّ منهم بمصطلحاته ومفاهيمهِ ونظريّاتهِ تحت رُؤًى أشاد بها و تبنّاها عن سابقيه أو بين معارضٍ لها أراد التفرّد والتميّز بالجديد بين أقرانه؛ فكان لكل واحد منهم محطّات كنا قد توقّفنا فيها وبسطنا فيها القول و لو كان ذلك بالشّيء القليل.

[1]–سارة ميلز،" **الخطاب** "،ص15–16.

الفصل الثاني: تجلّيات الدّرس التّداولي في لسانيات النّص

- المبحث الأوّل: التّداولية بين المرجع والإحالة
- المبحث الثّاني: السّياق بين النصّ والتّداولية
- المبحث الثّالث: المقصدية في الدّرس التّداولي

المبحث الأول: التّداولية بين المرجع والإحالة

تعدّدت المناهج وتباينت خلال القرن العشرين منذ ظهور اللّسانيات على يّد "**ديسوسير**" وفي ذلك تميّز وتفّرد كل اتِّجاه بدراسة خاصّة للّغة ارتضاها عن الدّراسات والمناهج الأخرى، بيد أنّ هاته المناهج لم تخل من نقاط اشتراكٍ بينها، وهذا ما سنسلِّط الضّوء عليه في هذا الفصل بين هما: هما التّداولية ولسانيات النّص.

يُعد التّواصلُ مربط ومكمن الدّراسات منذ الأزل في اللّغة بشكل عام وفي النّصوص بشكل خاص، يسعى الدّارسون لتحقيقه بمسائل عدّة كانت من صميم اللّغة، والإحالة واحدة من بين هاته المسائل، يرجع إليها الباحثون في تحليلاتهم وتفسيراتهم، وكذا تأويلاتهم لتلك النّصوص والخطابات، هاته الأخيرة (الإحالة) التّي تجلّت بين عديد المناهج بشكل عام، والتّداولية ولسانيات النصّ بشكل خاص.

1-الإحالة في لسانيات النّص

الإحالة مصطلح قديم لاستعمال خاصّ فيما سبق، تطوّر مفهومها على يد اللّغويين النصّانيين والذّين من أبرزهم"**هاليداي** وَ **رقيّة حسن**"؛ اللّذين جعلا لهذا المصطلح مفهوما مختلفا معتبرينه ميزةً أوسمةًخاصّة تُسهم بشكل أو بآخر في اتّساق النّص والخطاب،وفي هذا يفصّل "**جميل حمداوي**":« من المعلوم أنّ النّص أوالخطاب الأدبي إحالة مرجعية وسياقية ومقامية وتداولية، فلا يمكن فهم الملفوظ النصيّ أوالخطاب باعتباره كلّية عضوية متّسقة ومنسجمة إلاّ إذا راعينا مفهوم الإحالة النّصية والمقامية والسّياقية، وقد تحدث

"**هاليداي** وَ**حسن**" في كتابهما (الاتّساق في اللّغة الإنجليزية) (1976) ، عن الإحالة كثيراً واعتبرا الإحالة مظهراً من مظاهر اتّساق الخطاب اللّغوي »[1].

من خلال الدّراسة المتأنية والدّقيقة للنّظرية النصيّة لديهما، نجد أنّ"**هاليداي وَحسن**"قد استعملا مصطلح الإحالة؛ ليدّلا به على تلك العناصر المحيلة كيفما كان نوعها فهي لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة على ما تشير إليه من أجل تأويلها، وبهذا المفهوم يظهر جليّا أنّها خاصيّة تتوفّر عليها كلّ اللّغات الطّبيعية[2].

ويربط"**نعمان بوقرّة**" تلك العلاقة التي بين العبارات والأشياء التي تدلّ عليها،فهي بهذا المفهوم جسرٌ يربط بين العبارات اللّغوية داخل النصّ اللّغوي، وبين الأشياء والمسمّيات والأحداث وكذا المواقف في العالم الخارجي، وفي ذلك يرى أنّ:« الإحالة تعبّر عن العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم [3]، وهذه العبارات الدّالة من طبيعة استبداليه في سياقات النّصوص، والظّاهر أنّ الأسماء تحيل إلى مسمياتها وفن علاقة دلالية تطابقية بين خصائص المحيل والمحيل إليه وعنصر نصيٍّ مذكور في الخطاب [4] ».

إنّ النصّ الأدبيّ حروفٌ وكلماتٌ وعباراتٌ متّسقة ومنسجمة بعديدِ المسائل النّحوية (الشّكلية)منها، والدّلالية والإحالة واحدةٌ من بين تلك المسائل تسهم في اتّساق النصّ لغويًا ومقاميًا، فهي بذلك محور تقاطع العبارات اللّغوية وما تحيل إليه داخل النّص أوخارجه، ولا يسعنا فهم العبارة اللّغوية أحيانا إلاّ بالعودة لما تحيل إليه.ونشير إلى أنّ

---

[1]– جميل حمداوي، **التّداوليات وتحليل الخطاب**، ص49.

[2]–ينظر بن يحيى،**تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النّص دراسة تطبيقية في سورة البقرة** ،بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه في لسانيات النّص،(كليّة الآداب واللّغات والفنون،قسم اللّغة العربية وآدابها ،جامعة وهران)،2013،ص45.

[3] – نعمان بوقرّة،**لسانيات الخطاب مباحث في التّأسيس والإجراء** ،ص45.

[4] –**المرجع نفسه**، ص46.

اللّغة تشتمل على نوعين من العناصر يمثّلان قطبي الإحالة وهما : العنصر الإشاري والعنصر الإحالي :[1]

- **العنصر الإشاري:** يُعرّفه "**الأزهر الزّناد**" بأنّه كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره؛ فقد يكون لفظا دالا على حدث أو على ذات كإحالة ضمير المتكلّم (أَنَا) على ذات صاحبه، وحينئذ يرتبط العنصر الإحالي بعنصر إشاريٍّ غير لغويّ ممثَّلا بذات المتكلّم أوموقع ما في الزّمان.
- **العنصر الإحالي:** وهو كلّ مكوّن يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره ؛ والعناصر التي تملك خاصية الإحالة حسب الباحثين هي: الضّمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، والإحالة في نظر محمّد خطابي و من العديد الدّارسين؛

إذ تُعتبر علاقة داخليّة، ومن ذلك فهي لا تخضع لقيود نحويّة بل هي تخضع لقيد دلالي.وهو وجوب تطابق العناصر الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحيل إليه، كما تطلق تسمية العناصر الإحالية "anaphor"على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلّة تُفهم مباشرةً بل تعود على عنصر أوعدّة عناصر أخرى مذكورة في أماكن متعددة من الخطاب، فشرط وجودها هو النّص وعليه تقوم على مبدأ التّماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ماهو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، ومنه تتميزّ بالإحالة على المدى البعيد[2].

2-أنواع الإحالة

الإحالة لكونها عنصرا من عناصر الاتّساق تُسهم في اتّساق النّص والتي بدورها

---

[1] -ينظر نائل محمّد إسماعيل، **الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّص القرآني** ، دراسة وصفية تحليلية ، مجلّة جامعة الأزهر،سلسلة العلوم الإنسانيّة -غزّة، العدد:1،المجلّد:13، 2011،ص1064-1065.

[2]- ينظر الأزهر الزّناد، **نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**،ط1، بيروت: المركز الثّقافي العربي، 1933، ص118.

تنقسم إلى نوعين أقرّ بهما العديد من اللّغويين، منهم"**محمد خطابي**" في كتابه لسانيات النصّ وذلك في قوله:« تنقسم إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية والإحالة النّصيّة. وتتفرّع الثّانية إلى، إحالة قبلية، إحالة بعدية [1]».

2-1-الإحالة النّصية

تعدّدت الاصطلاحات الدّالة على هذا النّوع من الإحالة؛ منهم من يصطلح عليها بالدّاخلية ومنهم من يقول فيها النّصية،كما أنّ هناك من يترجمها بالإحالة إلى النصّ، وهو"**تمام حسان**"، عندما أشار إلى أنّه مصطلح جرى استخدامه للإشارة على علاقات التّماسك التي تساعد في تحديد بنية النصّ، وتتطلب من المتلقي أن ينظر داخل النصّ للبحث عن الشّيء المحال إليه؛بمعنى أنّهاته العلاقات الإحالية داخل النصّ تنقسم بدورها إلى قسمين :[2]

أ -إحالة قبلية

ويقول فيها"**الأزهر الزّناد**":« إحالة على السّابق أوإحالة بالعودة: وهي تعود على مفسَّر سبق التّلفظ به وفيها يجري تعويض المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر[3] ... يعوّض لفظ المفسّر المذكور قبله، فتكون الإحالة بناءً للنصّ على صورته التّامة التي كان من المفروض أن يكون عليها. فهي تحليل جديد له ...وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظٍ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النصّ قصد التّأكيد وهو الإحالة التّكرارية [4] ».

---

[1]- محمد خطابي ، **لسانيات النصّ مدخل إلى لسانيات الخطاب** ، ص17.

[2]- ينظر محمّد الأمين مصدّق، **التّماسك النّصي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقية في سورة البقرة**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر،(كلية اللّغة والأدب العربي والفنون،قسم اللّغة العربية وآدابها) ،2015، ص34.

[3]- الأزهر الزّناد، **نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص118.

[4]- **المرجع نفسه** ، ص119.

ومثالها كالآتي:

اغسلي ونقي ستّ تفاحاتٍ للطّبخ، ضعيها في إناءٍ يتحمّل حرارة النّار،وفي هذا يقول كلّ من "**هاليداي** وَ**حسن**" من أنّ الضّمير(ها) في الجملة الثّانية يُحيل إلى الوراء على التّفاحات السِّت في الجملة الأولى، وهي الوظيفة الإحالية إلى ما سبق أيْ للضّمير(ها) وهي تُضفي ترابطا على الجملتين، وبذلك نفهم أنّ كلا الجملتين كلٌّ لا يتجزّأ فهما وحدة نصيّة واحدة لا يتّضح معنى الجملة الثّانية دون الرّجوع إلى الجملة الأولى[1].

ب – إحالة بعدية

ويُطلق عليها "**الأزهر الزّناد**" مصطلح الإحالة على اللاّحق وبهذا المفهوم تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها،من ذلك ضمير الشّأن في العربية، أو غيره من الأساليب من قَبيل:

- من جزائر، نقدّم إليكم أخبار الظّهيرةِ للأنباء وهذا مُوجزها.
- صرّح ناطق باسم مجلس الأمّة فقال ما يلي:....

يظهر جليا من خلال المثالين السّابقين أنّ المركّبين يُحيلان على لاحق[2].

2-2-الإحالة المقامية

الإحالة المقامية، إحالة لخارج النصّ، ومنه يعتبر مصطلح مرادف للإحالة المقامية وكلاهما لا ينتميان إلى النصّ بصفة خاصّة مثلما كان الحال في الإحالة الدّاخلية (اللّغوية) فالإحالة بهذا المفهوم تربط بين العنصر المحيل من داخل النصّ مع العنصر الإشاري غير اللّغوي الذي يندرج خارج النصّ؛ أي أنّها :« إحالة عنصر لغويّ إحالي

[1]– ينظر جون براول وَ ج.يول،**تحليل الخطاب**، ترجمة محمّد لطفي الزّليطي ومنير التّريكي، د.ط، الرّياض: جامعة الملك سعود، 1979، ص228.

[2]– ينظر الأزهر الزّناد، **نسيج النّص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا**، ص19.

على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضميرُ المتكلّم على ذات صاحبه المتكلّم. ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله مجملا يمثّل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه،فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلّم [1] ».

كما أنّ للإحالة المقامية أهمية كبرى بصفتها عنصرا من عناصر الإحالة، أوّلا كونها تُسهم هي الأخرى في انسجام النصّ وبربطها إيّاه مع العالم الخارجي،ثانيا هذا ما نقله لنا"**نعمان بوقرة**"عن "**هاليداي** وَ**رقية حسن**"، وفي هذا يفصّلان« في مجال النصّيات إلى أهميّة الإحالة المقامية التي تُسهم في ربط النصّ بعالمه، فيتحقّق بذلك الانسجام النصّي ويكون القارئ قادرًا على فهم مقاصد المتكلّم وأغراض خطابه [2] ».

ويفرّق"**محمد خطابي**" بين كلّ من الإحالة النصيّة والإحالة المقامية، بيد أنّ ذلك لا يدحض كونهما يشتركان في عنصر مُفترض ينبغي أن يُستجاب له وهو المحيل إليه، ويتّضح به المعنى، وفي ذلك يقول:« يذهب "**هاليداي** وَ**رقيّة حسن**"، بهذا الخصوص إلى أنّ الإحالة المقاميّة تُساهم في خلق النصّ لكونها تربط اللّغة بسياق المقام إلاّ أنّها لا تساهم ...في اتّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصيّة بدور فعاّل في اتّساق النّص » [3] .

والإحالة ظاهرة أو بالأحرى عنصر من عناصر لسانيات النّص أُثيرت عليها عدّة دراسات وكُتِبَتْ حولها عدّة مؤلفات، والإحالة بهذا المفهوم تُسهم في اتّساق النصّ، سواءً أكان هذا الاتساق بشكل مباشر يُسمى بالإحالة النصيّة، أو كان ذلك خارجيا غير مباشر،يُصطلح عليه بالإحالة المقامية، فلا يكتمل المعنى ويتّضح إلاّ بها.

---

[1]– محمّد الأمين مصدّق، **التّماسك النصّي من خلال الإحالة و الحذف دراسة تطبيقيّة في سورة البقرة**، ص36.

[2]– نعمان بوقرّة ، **لسانيات الخطاب في التّأسيس والإجراء**، ص46.

[3] – محمد خطابي، **لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص17.

3- المرجع (الإحالة) في التّداولية

التّداولية كغيرها من المناهج الأخرى، تناولت عنصر الإحالة بالتّحليل والتّفسير، ولكن بمصطلحات مختلفة؛ بين قائل يقول بمصطلح المعينات، وآخر يفضّل مصطلح المرجع،هذا الأخير الذي عرف استعمالا واسعا عند التّداوليين والذين من بينهم"**أوستين**"؛ذلك أنّ مصطلح المرجع يقتصر وفقط على العالم الخارجي وبشكل أدق بما هو غير لغوي، هذا العنصر (المرجع) الذي سنسلّط عليه الضّوء لنعرف مدى تجليه في هذه النّظرية بشكل عام، وبمدى تقاطعه ولسانيات النصّ بشكل خاص.

3-1- المرجع

اِعتبرت اللّسانيات التّقليدية المرجعيّة أوالمرجع مجالاً ينبغي إبعاده عن الدّراسة اللّغوية بالرّغم من الأهمية التي يكتسبها في فهم الخطاب البشري؛ ذلك أنّهم تقيّدوا بحجّة استحالة الجمع بين علامات من طبيعة متنوّعة لأنّ المرجعية ذات طبيعة غير لغويّة، يعني لا مجال للرّجوع للأشياء لتفسير العلامات اللّغوية، بيد أنّ تلك الحجج لم تمنع من الاعتراف بالمرجعية التي تحدّد أبعاد الخطاب الحقيقية التي تكتسب مشروعيتها حينما تتطابق العلامات اللّغوية مع الواقع الخارجي[1].

لقد أشار"**بنفينست (Benveniste)**"إلى المرجع من خلال فكرتها عن بنية الضّمائر في اللّغة؛ إذ أُعتبرت هاته الفكرة بمثابة الانطلاقة الأولى حول هذا المصطلح ، وفي ذلك يفصّل "**إسماعيل علوي**":« كانت الانطلاقة الأولى عند "**بنفينيست**" فكرة بنية الضّمائر في اللّغة من حيث التّمييز بين المتكلّم والمخاطَب والغائب، وهي فكرة نقلها إلى الدّرس اللّغوي المعاصر بعدما لاحظ وجودها في لغات متعدّدة ومنها اللّغة العربية، وأدرك أنّ الذّاتية في القول تحدّد المرجعية الكلامية، ومن خلال تصوّره هذا أظهر أنّ بنية الضّمائر مؤسّسة على التّقابل في ضمائر الشّخص وتقابل في ضمائر الزّمن؛ فالضّمير

[1]- ينظر حمو الحاج ذهبية، **لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب**، ص102.

(أنا) يحيل حتما إلى المتكلّم والتّلفُظ (بـ : أنا) يستوجب شخصا آخر ينصبّ قبالة المتكلّم ويُعرف بأنت [1] ».

ولم تُطرح مسألة المرجع (الإحالة)عند "**أوستين**"البتّة، فلا نكاد نجد لهذا المصطلح مكانا في مسرد كتابه إلاّ نادرا جدا ففكرته تدور حول ما إذا كان التأكيد المفترض يقتضي وجود ما يحيل عليه، فإذا كان المرجع غير موجود فإنّ التأكيد يفقد ما يتعلّق به كقولنا: أبيعك شيئا ولا يكون ذلك الشّيء ملكي، أو يكون قد احترق؛ ففي هذه الحالة ينعدم التّأكيد ولا يكمن الإشكال عنده في الصّلة بين الحقيقة والمرجع البتة، بل مكمنه في مدى مصداقية المقصد [2].

في حين نجد أنّ الإحالة تحتل مجالا واسعا فسيحا عند "**سيرل**"، وبالتّحديد فكرة التّعابير المرجعية التي يُصطلح عليها بمصطلح الأعمال اللّغوية، فبالنّسبة إليه العبارة المرجعية هي عمل تعيين شيء غير علامي (غير ملموس) لا يعيّنه آليا مركّب اسميٌّ، ففي عبارة :

- جاءَ رجلٌ : قول مرجعيّ؛ لأنّ عبارة رجلٌ تحيل على عنصر ،ولكن في قولنا :
- زيدٌ رجلٌ، فعبارة رجلٌ هنا لا تُعيّن رجلاً، بل إنّها تستند إلى زيد مرجعي.

وهنا فرّق بين الإسناد كنسبة خاصية وبين الإحالة. هذا ويؤكّد "**سيرل**" أيضا أنّنا لا يجب أن نستنتج من لفظ ما تعبيرا مرجعيّا؛ أي أنّ تلك التّعابير تّحيل، بل على العكس فقد وُضعت الإحالة موضع البداهة، فهي عمل لغويّ والأعمال اللّغوية لا تُنجزها كلمات ولكن يُنجزها متكلّمون يتلفّظون بكلمات، وبالتّالي فإنّ القول بأنّ تعبيرًا يُحيل عنده هو:طريقة مختصرة للقول بأنّ متكلّما يستعمل ذلك التّعبير ليقيم إحالة [3].

---

[1]– حافظ إسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرّحيم، **التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة** ، ص158.

[2]– ينظر فيليب بلانشيه، **التّداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص119–120.

[3]– **المرجع نفسه**، ص120–121.

للتّداولية الحظّ الأوفر في تفسير الضّمائر وتعيين المرجع في الواقع الخارجي لتوافرها على آليات عدّة تعزو لها ذلك، وفي هذا يقول"**مسعود صحراوي**" في كتابه المعنون بالتّداولية عند العلماء العرب:« فالملفوظ الآتي:"لقد زادوا في قيمة الضّرائب"، أمّا في التّداولية فتوجد آلية (أو عدّة آليات) لتفسير هذا الضّمير وتعيين هذا المرجع في الواقع الخارجي،وهذا ما يعزو للتّداولية بعض المميّزات عن اللّسانيات البنيوية: كالاتّصال المباشر، ومباشرة العالم الخارجي.ومن القواعد العامة التي يمدّنا بها العالم الخارجي أنّه ليس لأحد الحقّ في زيادة الضّرائب إلاّ السّلطات المخوّلة بذلك [1] ».

كما أنّ هناك أشياء أخرى لها مرجعيّة؛ كالجمل التي لا تنطوي على مدلول صريحٍ خاصٍ وذلك كما في الجملة: إِنَّ الرّجلَ الذي يربحُ المباراةَ؛هي لا ترجع إلى فرد مخصوص من النّاس، وإنّما تُحيل وفقط إلى فردٍ يتّصف بخاصية معيّنة (وهي كسبُ الرّهانِ) في عالم المستقبل، ومثل هذه الأشياء التي تتّصف ببعض الخواص تسمّى المفهومات، إذ لها طبيعة التّصوّر أو الإمكان أكثر ممّا لها قوّة التّحقق الطّبيعي[2] .

3-2-المعينات

وكما كان الحال في حديثنا عن العنصرين الذين مثّلا قطبي الإحالة والّتي كان العنصر الإشاري واحدًا منها؛ هذا الذي يرتبط فيه العنصر الإحالي بعنصر إشاري غير لغوي تمثّل في ذات المتكلّم أو موقع ما في زمن ما، فقد تجلّى ذلك فيما يسمى بعنصر آخر ألا وهو "المعينات"؛ والتي تعتبر:« مجموعة من المرجعيّات الإحالية المبنيّة على شروط التلفّظ الخاصّة وظروفه، كهويّة المتكلّم، ومكان التلفّظ وزمانه [3] ... وتحيل

---

[1]- مسعود صحراوي، **التّداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي**، ص28.

[2]- ينظر فان دايك، **النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي التّداولي**، ترجمة عبد القادر قنيني، د.ط، الدّار البيضاء، بيروت: إفريقيا الشّرق ،2000، ص58.

[3]- جميل حمداوي، **التّداوليات وتحليل الخطاب**، ص22.

المعينات على أطراف التّواصل، من متكلّم ومستقبل، ومرسِلٍ ومرسِلٍ إليه، بالإضافة إلى الضّمائر المنفصلة والمتّصلة (أنا، أنت، نحن، أنتم) وأدوات التملّك المتعلّقة بضمير المتكلّم وضمير المخاطب وأسماء الإشارة (هذا، هذه، ذلك، تلك) وظروف الزّمان والمكان (هنا، هناك،اليوم. الآن، البارحة)، فضلا عن كلّ المؤشّرات اللّغويّة التي تُعيّن الشّخوص والأشياء من قبل المتكلّم [1] ».

ومثال ذلك، سأذهبُ لأنامَ؛ فإذا كنّا نعرف بأنّ أحمد هو الذي قال هذه الجملة، فضمير المتكلّم يعود عليه إحالةً وسياقاً ومقاماً؛ أيْ إنّ ضمير المتكلّم هو أحمد، وإذا لم نكن نعرف متلفّظ هذه الجملة فإنّنا لن نعرف بتاتا على من يعود ضمير المتكلّم [2].

ترتبط المعينات بكلّ ما من شأنه تعيين وتحديد مرجع الوحدات اللّغوية أثناء وخلال عملية التلفّظ في سياق ومقام معيّن، أو بالأحرى فإنّ معرفة العنصر المحيل إليه مشروطة بمعرفة ظروف وملابسات القول على حد قول التّداوليين.

ممّا سبق ذكره من تفصيل عن الإحالة عند النّصانيين وبالأخصّ عند"**دي بوجراند**"، الذي يعتبرها عنصرا من عناصر النصيّة وكذا "**هاليداي وَرقيّة حسن**"؛ الذَيْنِ بسطا القول فيها وتناولاها بالتّفصيل، كونها مسألة من مسائل عنصر الاتّساق تّسهم بشكل أو بآخر في اتّساق النّصوص وانسجامها بفرعيها الدّاخلية والخارجية المقامية، هاته الأخيرة التي هي مكمن التّعالق والتّرابط والتّقاطع بين الإحالة عند علماء النصّ وكذا التّداوليين.

نلاحظ وبشكل لا مجال للشّك فيه مدى تعالق وارتباط الإحالتين من المصطلح أوّلا، ومن مضمون المصطلح ثانيا، ذلك أنّ كلاهما يشتركان في كون الإحالة ترتبط بالسّياق والمقام الخارجي، أيْ أنّ ما تحيل عليه مُرتبط بما هو غير لغوي عكس الإحالة النّصيّة.

---

[1]–جميل حمداوي، **التّداوليات وتحليل الخطاب**، ص23.

[2] – ينظر **المرجع نفسه**، ص23.

المبحث الثاني: السّياق بين النّص والتّداولية

ظلّت الدّراسات البنيوية على مدىً من القرون في عزوف كامل عن السّياق حين أخرجته من دائرة التّحليل والتّفسير، وظلّ الأمر كذلك حتى جاءت مناهج أخرى عادت وأدخلت السّياق وجعلته جلّ اهتمامها؛ لتتدارك النّقص الذي شاب تلك النّظريات والقصور فيها وكثرة الانتقادات التي وجّهت إليها، ولسانيات النصّ والتّداولية من بين تلك المناهج.

1-السّياق عند النّصانيين

السّياق بوصفه عنصرًا هامًا يحتويه النّص؛ يُسهم هو الآخر في اتّساق النصّ وانسجامه، حيث يلجأ إليه الدّارسون في تفسير وتحليل العلامات اللّغوية والوقوف على مكوّناتها وحقيقتها حتى يسهل عليهم فهمها وتحديد معانيها ومقاصدها بدقّة.

إنّ الشّعر العربيّ القديم أيًّا كان نصّه وشرّعته الجماعة اللّغوية، لذلك لا يمكن عزل الملفوظ عن ظروف التّلفظ وإن كان يعكس من المرجع شذراتٍ مشوّهة، هذه الظّروف تدلّ عليها في النصّ أماراتٌ شكليّة فيه، فصيغ بذلك الإنشاء وطقوس الإنشاد التي يُفيدها النصّ والعبارات الدّالة على الصّوت وعلى الحركة، وعلى غيرها من الإجراءات التي تجذّر النصّ في سياقه وليس ثمّة من النصّ ما لا ينتسب إلى الظّروف التي أنشأته[1].

[1]- ينظر أحمد الحيزم، **من شعرية اللّغة إلى شعريّة الذّات قراءة في ضوء لسانيات الخطاب**، ط1، الجزائر: دار الرّوائد الثقافية، 2016، ص23.

1-1- مفهوم السّياق

يُعد السّياق ويتشكّل أساسًا من معارف موسوعية كونها أساس مجموعة من المعطياتيوفّرها لنا المحيط الذّهني أوالمعرفيُّ للفرد، تمخّضت عن تأويل الملفوظات السّابقة؛وفي هذا الصّدد يفصّل "**عمر بلخير**":« إنّ تأويل الملفوظات يتمّ بطريق عمليات استنباطية، مقدّماتها الشّكل المنطقي للملفوظات بإضافة معلومات أخرى تشكّل ما يمكن تسميته السّياق، فهو يشكّل أساسا من المعارف الموسوعة التي يتمّ الدّخول إليها عن طريق الأشكال المنطقية والمعطيات المُستقاة مباشرة من المحيط الفيزيائي ومن المعطيات التي تمخّضت عن تأويل الملفوظات السّابقة، هذه المعطيات كلّها يسمّيها العالمان المحيط الذّهني والمعرفي، فالسّياق في هذا الإطار هو جزء صغير من المحيط الذهني أوالمعرفي للفرد في فترة معيّنة .[1] »

يتوفّر السّياق على صفة قارّة وخاصة مميّزة فيه تسمى الدّيناميكية أوالحركية، لذا فهو ليس مجرّد حالة لفظ وإنّما هو بالأحرى متوالية من أحوال ذلك اللّفظ،الذي اعتبره "**فان دايك**" في كتابه المعنون بالنصّ والسّياق فيقول :« والخاصيّة الأولى للسّياق مما يتعيّن التّوكيد عليها هي الصّفة أوالميزة الدّيناميكية المحرّكة، فليس السّياق مجرّد حالة لفظ وإنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللّفظ. وفضلا عن ذلك لا يظلّ المواقف متماثلة في الزّمن وإنّما تتغيّر، وعلى ذلك فكلُّ سياق هو عبارة عن اتّجاه مجرى الأحداث [2]».

وتشكّل المقامية باعتبارها معياراً من المعايير السّبعة عند" **ديبوجراند**" جزءًا من مفهوم السّياق، ويتضمّن تلك العوامل التي تجعل النصّ مرتبطا بموقف سائدٍ يمكن

---

[1]- عمر بلخير، **مقالات في التّداولية والخطاب**، ص243.

[2]- فان دايك،**النصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي**،ص258.

استرجاعه، وهي عند" **ديبوجراند** وَ **درسلر** " تشمل على العوامل التي تجعل النصّ ذا صلة بموقف حاليّ أوبموقف قابل للاسترجاع [1].

طالما أُعتبر السّياق جزءا خارجا عن البنية اللّغوية للقول، لكن مع بزوغ اللّسانيات الحديثة، تقرر وجوده في البنية ذاتها وبأهميته في تحديد غرض الكلام، وفي ذلك يشير" **تودوروف(Todorov)**" بأنّ الحالة غير اللّغوية لا تؤثّر من الخارج كقوّة آلية، ولكن تدخل في القول بوصفها عنصرا ضروريا في بنيته الدّلالية،هذا ويذكر أيضا **(تودوروف)** أنّ النّصوص لا تحدّد من خلال الأشكال التي تكوّنها فحسب (الكلمات، الأشكال، المورفولوجية والتّركيبية، والأصوات والنّغمات)، بل أيضا من خلال ظواهر غير لغوية للوضعية، من زمان ومكان التّلفظ، والموضوع، وعلاقة المتخاطبين بما يحدث[2].

وممّا تقدّم ذكره يظهر جليّا أنّ السّياق بوصفه مجموعة من الوقائع والمعطيات يوفّرها المحيط الذّهني أوالمعرفي للفرد في فترة معيّنة، أو هو متوالية من أحوال اللّفظ؛ وهو متغيّر أويتغيّر بتغيُّر مجرى الأحداث، يتحدّد من خلال المعنى الحقيقي للوحدات اللّغوية التي لا تُفهم إلاّ من خلال الرُّجوع أو الاستعانة بالسّياق الذي وُجدت وقِيلت فيه،وهو مرجع يرجع إليه المحلّلون في تحليلهم وتفسيرهم لتلك الوحدات، وهو بذلك يُسهم بشكل أو بآخر في اتّساق النصّ وانسجامه.

وفي هذا يقول"**عمر بلخير**":« فحينما نحلّل القصيدة الشّعرية فنحن نتعامل مع ضمائر مختلفة كضمائر الشّخص والإشارة والوصل وعناصر ووحدات لغويّة تُحيل إلى العالم الخطابي والاجتماعي والثّقافي ... الذي صدر فيه الخطاب، ومعرفة هذا العالم سيساعدنا حتما على فهم البعد الحالي للقصيدة الذي يستحيل فصله عن عالمه المختلف الأبعاد الذي نشأ فيه، فنحن نتأثر ونتذوق ونحب ونكره ونستمتع بالشّعر، ليس في ذاته

[1]– ينظر بن الدّين خولة،**الإسهامات النصّية في التّراث العربي**،أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللّسانيات النّصية، جامعة وهران أحمد بن بلّة (كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية وآدابها)،ص103.

[2]– ينظر حمو الحاج ذهبيّة، **لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب**، ص218.

وليس بعيدًا عن سياقه الذي أنتجه[1] » .

تغيرت نظرة الدّارسين اللّسانيين حول النّص بكونه بنية منغلقة على ذاتها لردحٍ من الزّمن مع البنيويين؛ ذلك أنّه لابد للنصّ الأدبيّ أن ينفتح على العوالم السّياسية المتعدّدة، وفي هذا يذكر"**جميل حمداوي**":« ويعني هذا أنّ النصّ الأدبيّ لا يمكن أن يبقى منغلقًا على ذاته، منطويا على بنياته السّيميائية أوالصّورية المجرّدة، بل عليه أن ينفتح على العوالم السّياسية المتعدّدة الدّلالات، بمعنى أنّ النصّ لابد أن يخضع لمبدأ التأويل السّياقي بالانفتاح على السّياق النصّي الدّاخلي والسّياق النصّي الخارجي المتعدّد الأبعاد[2]»

1-2-مستويات السّياق

يُكوّن السّياق على ثلاثة مستويات؛منها ما هو على مستوى الكلام، والآخر على مستوى اللّغة فيها،وهناك مستوى ثالث هو على مستوى المحيط الألسني، وفي هذا إشارة من" **رشيد بن مالك**" وهي كالأتي:[3]

- ✓ **على مستوى الكلام:** يشمل المحيط الألنسي للوحدة على مجموعة من العناصر الحاضرة في النصّ المجاورة أو المبتعدة عن الوحدة المدروسة.
- ✓ **على مستوى اللّغة:** تكون كلّ وحدة ألسنية بمثابة السّياق للوحدات الموجودة في رتبة أدنى، ويتموضع سياقها في الوحدة الموجودة على مستوى أعلى ومثالها كالأتي:
  - الفونيم (ص)؛ يتمظهر في سياق صديق، وبدوره يتمظهر في سياق أنت صديق.
- ✓ **المحيط الألسني أوغير الألسني:** الذي تتحقّق فيه الوحدة.

وعليه يتبيّن من كلّ هذا نوعين من السّياق في لسانيات النّص تقرّر وضعها.

---

[1]- عمر بلخير، **مقالات في التّداولية والخطاب**، ص219.

[2]- جميل حمداوي، **محاضرات في لسانيات النصّ**،ص110.

[3]- ينظر فطّومة لحمادي، **السّياق والنصّ استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النصّي**، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة محمّد خيضر، العددان الثاني والثّالث، جانفي – جوان 2008،ص4.

1-3- أنواع السّياق

للسّياق بشكل عام أنماط كثيرة تُسهم في اتّساق وانسجام النّصوص وكذا الخطابات، بيد أن لسانيات النصّ تقتصر أو بالأحرى تشمل على نوعين اثنين لا ثالث لهما ألا وهما: السّياق الدّاخلي (اللّغوي) ، والسّياق الخارجي (غير اللّغوي)، وفي هذا نفصّل[1]:

- ✓ **السّياق الدّاخلي:** ويسمىّ أيضا السّياق اللّغوي، ويشمل السّياق الصّوتي، والصّرفي والنّحوي والمعجمي، والقصصي.
- ✓ **السّياق الخارجي:** ويسمى أيضا غير اللّغوي، ويشمل سياق المقام، والسّياق الاجتماعي والسّياق التاريخي، وسياق الحال، وسياق الموقف.

ومثالهما كالآتي: قول الرّجل: أتاني رجلٌ، يريد من ذلك واحدًا لا اثنين، فيقول : ما أتاك رجلٌ، أي أتاك أكثر من ذلك، ثم يقول: ما أتاني اليوم رجلٌ، أي في قوته ونفاذه، فتقول:ما أتاك رجلٌ: و هي تحمل معنى: أي أتاك الضعفاء...

فلا تتضح معاني هذه الأمثلة إلاّ من خلال السّياقات اللّغوية التي توصف فيها المقامات التّخاطبية التي تحيط بها، فالنّص في الأمثلة السّابقة مرتبط بمقاصد المتكلّم وأحوال الخطاب ولذلك فهو يحسن في سياقٍ ولا يحسنُ في آخر[2].

يرتبط السّياق في لسانيات النص بنمطين اثنين؛ نمط داخليٌّ لغويٌّ داخل النصّ لا يلجأ المحلّلون فيه لما هو خارج النصّ لفهمه، بل يكتفي بالسّياق اللّغوي أي الجملة التي ترد فيها اللّفظة المراد تفسيرها وفهم معناها، ونمط آخر خارج النّص يرتبط بكلّ ما هو غير لغوي،يلجأ فيه الدّارسون إلى كلّ ما هو خارج النصّ باعتباره مرجعًا يساعدهم في

---

[1]- ينظر خليل خلف شير العامري، **السّياق أنماطه وتطبيقاته في التّعبير القرآني**، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربوية،جامعة البصرة المجلّد9،العدد2، 2010، ص42.

[2]- ينظر بشير ابرير، **آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه**، مجلّة كليّة الأدب واللّغات، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العددان العاشر والحادي عشر، جانفي – جوان 2012، ص23.

تفسير اللّفظة المبهمة أوالجملة محل الغموض، وهذا النّمط الأخير ما سنسلط عليه الضوء، وذلك في السّياق عند التّداوليين.

2-السّياق عند التّداوليين

يكسب السّياق أهمية كبرى في المنهج التّداولي على غرار ما كان في المناهج الأخرى كونه يُسلّط الضّوء على عناصر العملية التّواصلية، فهو منهج يجنح إلى دراسة اللّغة في بعدها الاستعمالي بين باثٍ لرسائل ما، ومتلقي لها تحت ظروف زمانيّة ومكانيّة يمكن اختصارها في مصطلح تداوليٍّ هو"ملابسات القول"على حدّ قول بعض العلماء التّداوليين، وهذا ما سنقف عنده في هذا الجزء لمعرفة دور السّياق في هذا المنهج ومدى تجلّيه فيه.

2-1-مفهومه

يتبلور السّياق ويتشكّل بناءً على معلومات يستقيها المحلّل من الصّيغة المنطقية المتلفّظ بها بعد أن يرجع إلى المعلومات الأخرى التي تشمل على المحيط المدرك لنتائج تلك الألفاظ أو الأقوال، وهي ما يُدعى بالمقدّمة المنطقية، وفي هذا يقول الباحثون أنّ" **روبولوَجاك موشلار (Anne reboul-Jaque moeshler)** :« يتشكّل انطلاقا من المعلومات المُستقاة من مفاهيم الصّيغة المنطقيّة.

وعندما يتشكّل كذلك بواسطة المعلومات المتعلّقة بالمحيط المدرك من نتيجة تأويل الأقوال السّابقة،فإنّ الصّيغة المنطقية للقول تتضاف إلى كلّ هذا مكوّنة مقدّمة منطقية إضافية[1] ... أمّا المقدّمات المنطقيّة الأخرى التي تشكّل السّياق فتُسقى من مصادر شتى

[1]- آن روبول وَجاك موشلار، **التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل**، ترجمة سيف الدّين دعفوس ومحمّد الشّيباني، ط1، بيروت: دار الطّليعة للطّباعة والنّشر،2003، ص78.

كالمعارف الموسوعية وإدراك المقام وتأويل الأقوال السّابقة، وتبعًا لذلك يتشكّل السّياق بالنّسبة إلى كلّ قولٍ جديدٍ (أو عملٍ تواصليٍّ إشهاريٍّ استدلاليّ)»[1] .

تذهب" **حمو الحاج ذهبية**" في تعريف بسيط للسّياق في التداولية واضح المعالم، المخاطِب والمتلقي ورسالة بينهما وما يشتركان فيه من افتراضٍ مسبقٍ، ومفاد هذا التّعريف هو أنّ السّياق :« مجموعة المعطيات التي يشترك فيها كلٌّ من المخاطِب والمتلقّي إلى جانب المعلومات المشتركة بينما وما يربطهما من تجارب وثقافة ... فاستعمال اللّغة يقضي الخضوع لهذه الشُّروط [2] ».

وممّا جرى قوله يظهر جليّا مدى اهتمام التّداوليين بالسّياق؛ ذلك الذي جعل بعضهم يُؤثر استعمال مصطلح النّظرية السّياقية كبديل عن التّداولية، فحصروا مفهوم هذا العنصر في تلك المعلومات التي بين مخاطِب باثٍ لرسالة ما ومتلقّي يتلقى تلك الرّسالة من مصادر شتّى لها شأن الإعانة وتوضيح تلك الأقوال المتلفَّظ بها من تجارب وثقافة.

2-2-عناصر السّياق

للسّياق وظيفة مزدوجة حسب"**هايمس (Hayms)**" أولها تقييد مجال التأويل، وثانيها يكمن في دعم التأويل المقصود، كما صنّف السّياق إلى عناصر وهي: المرسل، المتلقي، والحضور (المستمعون الآخرون)، الموضوع والمقام (زمن الحدث التّواصلي ومكانه)، والقناة والنّظام (اللّغة أو اللّهجة المتلفّظ بها) ،وشكل الرّسالة، والمفتاح (موعظة أوغير ذلك)، والغرض منها. أمّا" **ليفس (Leaves)** " فيحصر السّياق في العناصر التالية: العالم الممكن، الزّمان والمكان، والحضور، والشيء المشار إليه، والخطاب السّابق، والتّخصيص[3].

---

[1]- آن روبول وَجاك موشلار، **التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل** ، ص87.

[2]- حمو الحاج ذهبية، **لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب**، ص19.

[3]- ينظر جميل حمداوي، **محاضرات في لسانيات النّص**، ص109.

2-2-أنواع السّياق في التّداولية

قسّم "**أرمنكو(Arminguad)** " التّداولية إلى درجات عدّة، تتباين بتباين السّياق فيها، ومن ذلك نحن أمام أنواع من السّياق يمكن حصرها كالآتي[1]:

- **السّياق النصّي:** وهو سياق القرائن أوما سُمي بنحو النصّ.
- **السّياق الوجودي:** ويتضمّن هذا النّوع السّياق المرجعي بطبعه الأحداث التي ترجع إليها التّغيرات اللّغوية، ويتم الانتقال من الدّلالة إلى التّداولية حالما يُدرك أنّ المرسِل والمرسَل إليه، وكذا موقعهم الزّماني والمكاني هي مؤشرات للسّياق الوجودي .
- **السّياق المقامي:** وفي هذا نَعبر من شيءٍ مادي خالص إلى شيء وسيط ثقافيا ويتميّز المقام بالاعتراف به اجتماعيا بصفتة متضمّنا لغاية أوغايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشّخصيات المنتمية إلى نفس الثّقافة، ومن أمثلته المحادثات الدّائرة بين طبيبين حول حالة مرضيّة ما؛ إذًا مقامهما العلمي هو الذي سيحكم هذه المحادثة.
- **سياق الفعل:** تُعدّ الأفعال اللُّغوية أصنافا جزئيّة من السّياق المقامي، والأفعال اللّغوية أفعالاً إراديّةً، إذ يقصد المرسِل إنجازها ويُريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد.إنّ هذه العلاقة بين المرسِل والمرسَل إليه يحكمها تفاعل الأطراف الذي يولّد سياقا تواصليّا بينهما.
- **سياق نفسي:** إنّ اعتبار الخطاب فعلاً، وإنّ الفعل اللّغوي قصدٌ مشروط يؤدي إلى دمج الحالات الذّهنية والنّفسية في نظرية تداوليّة اللّغة لتصبح المقاصد والرّغبات حالة ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل والتّفاعل.

[1]- ينظر شيتر رحيمة، **التّداولية وآفاق التّحليل**، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمّد خيضر بسكرة ، العددان الثّاني والثّالث، جانفي – جوان 2008، ص5.

لا يسعنا في هذا المقام أن نُدرج لكلّ نوع من أنواع السّياق السّالفة الذّكر على حدى، ولكنّنا اقتصرنا على ذكر مثال جامعٍ مانعٍ لكلّ عناصر السّياق التي كنّا قد تطرقنا إليها، وهو كالآتي: لدينا حالتين ابتدعناهما يصدر فيهما القول نفسه عن متكلمين وهما [1]:

- **الحالة1**

المتكلّم أمٌّ شابّةٌ، المستمعة: حماتها، المكان الحديقة العمومية بجانب غدير يلعب فيه البط، التوقيت: بعد الزّوال، في يوم من أيام شهر سبتمبر1962 م.

المرأتان تراقبان ابن الأمّ الشّابة وهو طفل عمره سنتان أثناء مطاردته للبطّ، وقد فرغت الحماة لتوّها من ملاحظة أنّ ابنها، أي ولد الطّفل الذي كان أقرب إلى التخلّف الذّهني عندما كان في عمر الصّبي، ومن ذلك تقول الأمّ الشّابة: لاشك لديَّأنّ آدم سريع.

- **الحالة2**

المتكلّم: طالبْ، المستمعون: مجموعة من الطّلبة، المكان: الكلّ جلوس حول طاولة مستديرة في مطعم الجامعة، التّوقيت: إحدى الأمسيات من شهر مارس سنة 1980م.بمجرّد إنهاء جون لنكتة يضحك الجميع عليها إلاّ آدم، ثمّ يضحك آدم بعد ذلك، فيعقّب أحد الطلبة قائلا : لاشك لديّ أنّ آدم سريع .

في كلتا الحالتين نلاحظ تركيز المتكلمين أوالمتكلّم الصّوتي هو على كلمة آدم، وينسب إليها صفة الشّرعية.

المقولتين كما وردتا في السّياقين المحدّدين أعلاه تحملان رسائل كلاميّة مختلفة؛ إذ أنّ آدم هو محور المقابلة مع والده في المقولة الأولى، وهكذا يمكن فهم كلمة سريع في سياق الحديث عن متخلّف ذهني، على أنّها سريع النُّمو.

[1]– ينظرج. براون وَج.يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة محمّد لطفي الزّليطي وَمنير التّريكي، د.ط، الرّياض: جامعة الملك سعود،1997، ص45.

أمّا في الحالة الثّانية فآدم هو محور المقارنة والمقابلة مع جمع من الطّلبة، وفي هذه الحالة تُفهم كلمة سريع على أنّها سريع الفهم في المعنى المباشر لها، ولكن بما أنّ هذا القول صدر في سياقٍ ثبت فيه فشلُ آدم في التّفاعل مع النّكتة بنفس سرعة الطّلبة الآخرين، وفي هذه الحالة والظّروف، المتكلّم ضمّن كلامه معنى مغايرا لظاهر القول. ومن ذلك يمكن القول أنّه: كلّما زادت معرفة المحلّل بخصائص السّياق زادت قدرته على التّنبؤ بما يُمكن قوله والعكس[1]

ظلّ السّياق على القرون مغيّبا عند البنيويين حتى جاء **فيرث** مع نظريته السّياقية وأدرجه ضمن دراسته للّغة وأعاد الاعتبار إليه، ومن ذلك الحين أصبحت له أولويّة كبيرة مع المناهج التي جاءت بعده كلسانيات النّص التي أخذ باعًا كبيرًا فيها فتناولوه بالتّعريف والتّحليل وجعلوه أنماطا منها ما هو داخليٌّ نصيٌّ لغويٌّ يتحكّم في معاني العلامات اللُّغوية داخل النُّصوص، ومنها ما هو خارجيٌّ غير لغويٍّ؛

أُعتبر مرجعا يرجع إليه الدّارسون في بيان وتوضيح العلامات اللُّغوية بشكل خاصٍّ ومعاني النُّصوص بشكل عام، يستعين فيه المحلّلون بالمقام والحال والموقف الذي نشأ النصُّ اللُّغويُّ، وكذا تلك المعلومات المُستقاة من كلّ ماله علاقة بالمجتمع والثّقافات والتّاريخ، هاته المعلومات التي يستعين بها المحلّلون في تفسيرهم.

هذا الأخير (الخارجي غير اللّغوي)، الذي هو مكمن تعالق وتقاطع السّياق بين لسانيات النصّ والتّداولية، هذا النّمط الذي هو مدار اهتمام الدّارسين في المنهج التّداولي، هذا الأخير الذي يهتمّ بكلّ ما هو غير لغويٍّ محيطٍ بالخطاب، من مقامٍ وموقفٍ وحالٍ قيل فيه الكلام، وبتلك المعلومات المستنبطة بكلّ ماله علاقة بثقافة المتكلّم والمتلقي والتي تساعد في فهم كلّ ما يتلفّظ به المتكلّم يساعد على فكّ شفرات الرّسالة بينهما وفهم مقاصدها.

[1]– ينظر ج. ب.براون وَج.يول، **تحليل الخطاب** ، ص51.

المبحث الثّالث: المقصدية في الدّرس التّداولي

القصدية أو بالأحرى المقصدية معيار كغيره من المعايير النّصية يُسهم في تماسك النصّ وانسجامه تشترك فيه مناهج عدّة، وهو مدار اهتمام التّداوليين بشكل خاصٍ؛ ذلك أنّه علم المقاصد بلا منازع وجوهر ومكمن العملية التّواصلية بين الأفراد منذ الأزل، فلا يتأتى التّواصل إلاّ به، ولا نجاح عملية تأويل الملفوظ إلاّ من خلال فهمه.

1-مفهوم المقصدية عند الدّارسين النّصانيين

قبل أن نُدرج مفهوم القصد عند التّداوليين، كان لزامًا علينا أن نمهّد له عند النصّانيين؛ باعتباره سابق الظّهور عندهم أوّلاً، ولأنّه احتلّ مكانةً عندهم ثانيًا .

يربط" **نور عوض**" هذا المصطلح داخل النصّ بكلّ عمل مخطّط له بُغية الوصول إلى تحقيق هدف بعينه أوغاية بعينها، ونجاح النصّ أو إخفاقه في الأخير مرتبط بمدى التزام مُنشأ النصّ بهذا العنصر، وفي ذلك يُفصّل :« ومفاد ذلك أنّ النصّ ليس بِنيةً عشوائيةً اعتباطيّة وإنّما هو عمل مقصودٍ به أن يكون متناسقا ومترابطا لكي يُحقّق هدفا بعينه، وبمفهوم آخر، عمل مخطّط planned يستهدف به غاية بعينها goal أوهدفا بعينه وبالطّبع فإنّ مُنشأ النصّ قد لا يستطيع أن يفي بالتزامات هذا العنصر النصّاني، ولكنّ ذلك لا يعني إخفاق النصّ بصورة كاملة، إذ يظلّ هناك دائما مدى لاحتمال الإخفاق [1]».

[1]- يوسف نور عوض، **علم النصّ وعمليّة التّرجمة**، ص50.

ويوافقه في هذا الطّرح" **فولفجانج هاينهمن وَديتر فيهفجر(Wolfgaang Heine&Dieter Fager)**"، على كون المقصد عبارة عن خطّة محدّدة بُغية الوصول إلى هدف معيّن مرسوم،وذلك في قوله:« موقف (uttitude) منتج النّص لإنتاج نصّ متماسك ومتناسق لكي يتم نشر العلم أوالوصول إلى هدف مرسوم في خطّة،لا يُصبح تتابع الرّموز نصّا إلاّ من خلال هذه السّمة الأساسية [1] ».

كما يذهب إلى هذه الوجهة أيضا" **محمد الأخضر الصّبيحي**" وذلك في كون المقصدية مقوّما أساسيا للنصّ باعتبار أنّ لكلّ نّص أوخطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أونيّة لتجسيدها،هذا ويستمدّ مفهوم القصد شرعيته من وجوده في الدّراسات اللّسانية قديمها وحديثها، ذلك أنّ لكلّ فعل كلاميّ نيّة للتّوصيل والإبلاغ، ولمّا كان النصّ مظهرا من مظاهر السّلوك اللّغوي وشكلاً من أشكال اللّغة، فهو متضمّن لا محالة عن قصد معيّن. كما يُشير أيضا إلى أنّ هذا الجزء يُعتبر ذا أهميّة كبيرة في دلالة الخطاب؛هذا الأمر الذي جعل" **نصر حامد أبو حامد أبو زيد** " يجزم بأنّ النصّ لا يكتسب دلالة إلاّ بفعل قصد المتكلّم [2].

ويربط" **جميل حمداوي**" المقصديّة بالمتكلّم المرسل، والمتلقّي المستقبِل معًا، معتبرًا المقاصد الأوليّة مرتبطة بالمتكلّم، ومقاصد ثانويّة متعلّقة بالمتلقي وهو بهذا التّحديد؛ يُعطي لهذا المصطلح بُعدا أوسع من سابقيه،ذلك أنّ« النصّ الأدبيّ باعتباره جُملا وملفوظات لغوية يحوي مجموعة من المقاصد المباشر والضّمنية التي يُعبّر عنها المتكلّم أوالمتقي أوهما معًا. بتعبير آخر ثمّة مقاصد أوليّة تتعلّق بالمتكلّم المرسل قد يكون شاعرا – مثلا– فيُعبّر عن بعض مقاصده؛ كالحبّ والخوف والاعتقاد والتمنّي والكراهية، وفي

[1]– فولفجانج هاينه من وَ ديتر فيهفجر، **مدخل إلى علم اللّغة النصّي**، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، د.ط، الرّياض: جامعة الملك سعود، د.سنة، ص94.

[2]– ينظر محمّد الأخضر الصّبيحي، **مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه** ، د.ط، د.بلد: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف، د.سنة، ص96.

المقابل ثمّة مقاصد ثانويّة تتعلّق بالمتلقي السّامع الذي عليه أن يفهم مقاصد الشّاعر المبدع، ويتعرّف إلى ظروفه وحالاته النّفسية والذّهنية والوجدانيّة [1] ».

كما يُضمّن كلامه أيضا كون المبدعين والشّعراء يوظّفون في نصوصهم كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصديّة مباشرة تُدرَك بطريقة ظاهرة واضحة جليّة، ومقصديّة غير مباشرة تُفهم بالتّضمين والتّلميح، وهذه المقصديّة واضحة في الشّعر العربي المعاصر أكثر من القديم، في ظلّ توظيف المعاصر للّغة في ضوء سيميائية قصديّة؛ فتتحوّل بذلك قصيدته إلى علامات ورموز وإشارات وأيقونات تحمل في طياتها مقاصد ينبغي للمتلقي تفكيكها وتشريحها وتأويلها بُغية فهم مقاصدها [2].

وصفوة الحديث السّابق أو التّعريفات السّالفة الذّكر أنّ المقصديّة أو القصد، عمليّة تسبق التلفّظ أو نشأة النّص على تحقيقه، فيكون متناسقا ومترابطا لا عشوائيا اعتباطيا مشترك بين متكلّم مرسل لنصٍّ ما يحمل على عاتقه المسؤولية الأكبر، ومتلقي مُستقبل لذلك النصّ لإكمال ما تبقى من تلك المسؤولية.

2-مفهوم القصد عند التّداويين

يحتلّ القصد مكانةً كبرى في الدّرس التّداولي كون الدّرس التّداولي قائم على دراسة مقاصد المتكلّم والمتلقي معًا أثناء استعمالهم للّغة، فترتبط بذلك الصّيغة بالمتكلّم، وفي هذا يقول" **محمّد العيد** ":« من الحقائق الجوهرية في الاستعمال اللّغوي ارتباط الصّيغة بالمقصد،ومن المسلّم به في كلّ تفاعل لغوي أنّ الكيفية التي يُقال بها الشّيء تُعدّ جزءًا ممّا يُقال بينما يُعدّل المتكلّم قوّته المنطوقة الإنجازية، فإنّه يدلّل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره مقتضيات السّياق وهما يرتبطان في تقديرنا – بكفاءة المتكلّم وأدائه معًا [3]». إنّ

[1]– جميل حمداوي، **محاضرات في لسانيات النصّ**، ص107.

[2]– ينظر **المرجع نفسه**، ص107.

[3]– محمّد العبد، **النصّ والخطاب والاتّصال** ، د.ط ،القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014، ص223.

إدخال مفهوم القصدية في فهم كلام المتكلّم، وتحليل عباراته، مبدأً أخذ به فلاسفة نظرية الاستعمال في المعنى **(فتجنشتاين** المتأخر ،**أوستين، جرايس، ستراوسون،سيرل)**، هؤلاء الفلاسفة الذين جعلوه محور تفسير المعنى عند المتكلّمين ومقاصدهم على خلاف النّظريات الصّورية للّغة؛ فالمتكلّم يُريد تحقيق مسعى معيّن أي مقصدًا ما في كلامه.

وحين يتعرّف القارئ والسّامع على مُراد المتكلّم يكون قد توصّل إلى فهم لغته[1]، وبذلك فقط تأسّست القصدية على كيفية ارتباط العقل بمقاصد الأشياء في الطّبيعة[2]، فحدّد معناها على أنّه قُدرة العقل على توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها[3] .

يربط" **جون أوستين** " القصد بكلّ مُتلفَّظ تلفّظ به المتكلّم، فهي بهذا التّحليل وحدات كاملة تحمل في طياتها مقاصد المتكلّم محدّدة البدايات والنّهايات، وهذا الذي تنقله لنا **نعيمة السّعدية:**« يقول **جون أوستين (John.L.Austin)**إنّ اللّغة نشاط وعمل يُنجز... بنيّة وقصد يُريد المتكلّم تحقيقه جرّاء تلفظه بقول من الأقوال ... لأنّ النّصوص مدوّنة كانت أم محكيّة[4] يتمّ تركيبها عن قصد من قبل المتكلّم على هيئة وحدات كاملة متميّزة ذات بدايات ونهايات محدّدة، فالقصد يتضمّن موقف مُنشئ النصّ من كونه صورة ما من صور اللّغة قُصد بها أن تكون نصّا [5] ».

وباتّباع حدس" **غرايس** " الذي يُلمّح إلى أنّ السّمة الجوهريّة في التّواصل البشري ككل هما: التّعبير وإدراك المقاصد، وبذلك فإنّ نظرية الملائمة ترى التّواصل عمليّة

---

[1]– ينظر وشّن دلال، **القصديّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللّغة** ، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعية ، جامعة محمّد خيضر، العدد السّادس، جانفي 2010،ص2.

[2]– ينظر حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين عبد الرّحيم، **التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة** ، ص 294.

[3]– **المرجع نفسه** ، 295.

[4]– نعيمة السّعدية، **الخطاب الشّعري بين سلطة القصد وفاعليّة القراءة استنطاق لنصّ أمير من المطر ... وحاشية من الغبار لمحمّد الماغوط**، مجلّة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري،جامعة محمّد خيضر– بسكرة، العدد السّابع ،2011، ص249.

[5]– **المرجع نفسه**، ص250.

تداولية استدلالية يشغل فيها توليد مقصد المتّصل واكتشافه موقعا محوريا.هذا ويتناول أيضا اقتراح" **سبربر وَ ويلسون (Sperber & Wilson)**" نموذجا إشاريا استدلاليا Ostensive Inferontial Model للتّواصل البشري، يقدّم المتكلّم فيه مجرّد دليل (منطوق ما) على مقصده لإيصال معنى محدّد، ويفهم المخاطَب معنى المتكلّم عبر إنتاج سلسلة من الاستدلالات التي يحكمها هذا الدّليل، ومن ذلك فيشترك مقصدان في هذه العمليّة التّواصلية وهما:

- **المقصد الإخباري:** حيث يُعلم المتكلّم من خلاله المستمع شيئا ما (المثيرات الإشارية يجب أن تجذب المستقبلين).
- **المقصد التّواصلي:** ينوي المتكلّم من خلاله إعلام المستمع مقصده التّواصلي (المثيرات الإشاريّة يجب أن تؤدي بانتباه إلى مقصد المتكلّم)[1].

ينقل لنا الباحثان" **حافظ إسماعيل علوي** وَ**منتصر أمين عبد الرّحيم** "مفهوم القصديّة عند" **سورل** " بوصفها سمة للحالات العقليّة مُرتبطة بنيّة معيّنة، وهي:« ببساطة تلك السّمة للحالات العقليّة التي تتوجّه أو تتعلّق بموضوعات وحالات فعليّة خارج ذاتها[2] ... وترتبط القصدية بالقصد والنيّة مثل قولك: أنوي فعل شيء ما قبل القيام به، وهي عمليّة إدراكية تسبق الفعل فتوجّه العقل نحوه كأن تنوي الذّهاب إلى المقهى، فأنت تعيش حالةً ذهنيّة تتعلّق بالوعي والإدراك تُوجّه حركتك واتّجاهك وفعلك [3] ».

وللقصد دور مهمّ في نجاح عمليّة تأويل الملفوظ، ذلك أنّ وصول المخاطَب لتأويل الملفوظ تأويلاً مُرضيًا مرهونٌ بمدى تمكّنه من تحصيل المحتوى الذي كان القائل يريد إبلاغه من الملفوظ؛ أي من إنتاجه هذه الجملة في ظروف خاصّة، وعلى هذا الأساس

---

[1]– ينظر دراسات وبحوث مختارة، " **تساؤلات التّداولية وتحليل الخطاب** "، ص63–64.

[2]– حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين عبد الرّحيم، "**التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة** "، ص195.

[3]– **المرجع نفسه** ، ص196.

يتواشج مفهومها الضّمني والقصد تواشجا وثيقا ومباشرا، ومن ذلك يظهر جليّا أنّ تأويل الملفوظ يقوم على إيضاح المحتوى الضّمني إلى جانب الدّلالة اللّغويّة لأنّ ما كان المتكلّم يقصد إبلاغه يتجاوز الدّلالة اللّغويّة الموافقة التي يحمّلها ملفوظه [1].

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ القصد عرف أهميّةً كُبرى عند علماء التّداول؛ ذلك أنّه يسبق عمليّة التلفّظ أو بشكل أدق، أنّ الكلام فيه يُبنى على حساب القصد الذي هو متضمّن فيه، وهذا هو مكمن الدّراسات التّداوليّة التي يسعى الباحثون فيها إلى تفسير وتحليل مقاصد المتكلّمين أثناء عملية التّواص

القصد معيار كغيره من المعايير السّبعة عند" **ديبوجراند** " اهتمّ الدّارسون به وجعلوه ضمن دراساتهم لكونه يساعد في اتّساق النّصوص وانسجامها، فهي مرهونة به وبفهم معانيه، ولقد أوردنا بعض التّعريفات لبعض الباحثين اشتركت كلّها في كون هذا العنصر عملية منظّمة لا اعتباطيّة عشوائية مبنيّة على أساس تحقيق هدف بعينه أو غاية بعينها .

يشترك فيها عنصري العمليّة التّواصلية، المتكلّم وهو أساس هذه العمليّة؛إذ يتضمّن كلامه مقاصد عدّة بُغية إيصالها للمتلقي، هذا الأخير الذي بفك شفرات تلك الرّموز والنّصوص وفهم مقاصدها ومعانيها، وعلى هذا الأساس تكون هناك مقاصد مباشرة ظاهرة جلية للمتلقي يفهمها مباشرة دون الحاجة للتّأويل، ومقاصد غير مباشرة يحتاج فيها المتلقي للتّأويل حتى يستطيع الوصول إلى معانيها.

وهذا ما وجدناه ظاهرًا جليّا في الدّراسات التّداولية،كونه عنصرًا عرف باعًا كبيرا فيها أيضا، فهو محور الدّراسات فيها ومكمن البحوث عليها، يشترك فيه جميع أطراف العمليّة التّواصلية من متكلّمٍ متلفّظٍ برسالة ما تضمّنت مقاصد ارتضاها ليوصلها إلى المتلقي،

[1]– ينظر آن روبول وَ جاك موشلار،" **تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب**"، ص72.

وهذا ما رأيناه في مفهوم القصد عند أوستين، اشترك فيه هذا الأخير مع ما كان عند النّصانيين.

هذا ويجعل"**غرايس**" التّعبير وإدراك المقاصد السّمة الجوهرية في التّواصل البشري ككلويشغل موقعا محوريا في عمليّة التّواصل التي تتضافر جميع الظّروف فيها أوبالأحرى ملابسات القول في ايجادها، كما تناولنا أيضا اقتراح كل من" **سبربر**وَ **ويلسن**" الذي انتهى بإبراز مقصدين للعملية التّواصلية ألاّ وهما؛ المقصد الإخباري والمقصد التّواصلي،في حين يجنح" **سورل** "وجهة معقّدة قليلا، فالمقصد عنده سمة للحالات العقلية مُرتبطة بنيّة معيّنة .

وللقصد دور مهمّ في نجاح عملية تأويل الملفوظ عند التّداوليين، فبدونه لا يتأتى لهم فهم معاني الألفاظ التي يُلقي بها المتكلّم.

يجتهد الإنسان منذ الأزل لإيصال المعنى للآخر بغية قضاء حوائجه وإخراج ما بداخله والتعبير عنها وُفق مقاصد تختلجه؛ فينتقي من الحروف والكلمات والجمل ما يوافقها من مقاصد بغية تحقيق هدف ما في سياق ومقام ما. وبهذا التعبير والمنطلق نجد العلماء والدّارسين يعكفون على دراسة مسائل عدّة تتضّمنها اللغة من مقاصد، وسياق، ومرجع.

وبذلك تتعدّد الدراسات وتتعدد الدراسات وتتعدد مناهجها ونظرياتها؛ التي يحاول كل منهج منها أن يدرس سّمة المسائل الكامنة في اللغة بوجهة يرتضيها ويراها الأصح من غيرها، فتختلف الرؤى وتتعدّد، بيد أنّ الواقف أو الناظر لهذه المناهج على تعدّد وجهاتها يلحظ نقاط اشتراك بينها، وهذا ما وقفنا عليه بين منهج التّداولية ولسانيات النّص.

الفصل الثّالث: التّصوّرات التّداولية في لسانيات الخطاب

- **المبحث الأوّل: تداولية أفعال الكلام في الخطاب**
- **المبحث الثّاني: مقصديّة المتكلّم بين الخطاب والدّرس التّداولي**
- **المبحث الثّالث: السّياق الثّقافي داخل الخطاب**

المبحث الأوّل : تداولية أفعال الكلام في الخطاب

لقد ثبت وجود نقاط اشتراك بين منهجي التّداولية ولسانيات النّص،وتوقّفنا على مكمن التّقاطع في نقاط لا تعدو أن تكون بمحض الصّدف، بل هي مسلّمات في اللّغة تشترك في دراستها العديد من المناهج.

ويظهر جليًّا وممّا لا مجال للشّك فيه أنّ التّداول هو تلفظٌ بالدّرجة الأولى أوهو كلام جارٍ بين مخاطِبٍ ومخطوبٍ لخطاب ما، ولذلك جاءت التّداولية كنظرية أو كمنهج لتحليل ذلك الكلام أو ذلك الخطاب، وبهذا التّفسير تُعتبر نظريةٌ انبثقت أواستمدّت ركيزتها من محاور عدة بشكل عام، وبالخصوص محور هامٍ سُلّطت عليه الأضواء وخاض فيه الكثير من التّداوليين، وهو ما سنعكف على بسط القول فيه في هذا المبحث ألا وهو محور "**أفعال الكلام**".

1- مفهوم نظريّة أفعال الكلام

الفعل اللّغويّ أو الفعل الكلاميّ وفعل الخطاب أو الفعل المنجز والفعل القوليّ كلّها مصطلحات مترادفة لنفس المعنى، يتبوّأ الانجاز فيها قطب الرّحى لنظرية استحكمت أوبالأحرى تصدرت أعمال التّداوليين، فكانت بذلك القلب النّابض لهذا المنهج ككل على يد عالمين اثنين هما: " **أوستين** "الذي كان له فضل السّبق فيها والواضع الأوّل لأصولها، فيما مدّ فروعها وطوّرها تلميذه "**سورل**"، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

قامت نظريّة أفعال الكلام" **لأوستين** "(1970) التي صاغها في كتابه على تغيّر العديد من التّصوّرات التي حصرت التّحليل اللّغويّ سابقا في حدود الجملة ومكوناتها النّحوية؛ فانفتح الدّرس اللّسانيّ على دراسة الخطابات المختلفة بوصفها صورًا لغويّة تتجلّى فيها عمليات التّخاطب والتّبليغ المختلفة شكلاً وسياقاً[1].

وترجع فكرة التّداولية ككل على حدّ قول" **حمو الحاج ذهبية**" إلى إشكالية أفعال الكلام التي طرحت من خلالها "**أوستين**" فكرة معنى القول،وحسب تصوّرها حالة تمثيلية للعالم بمعزل على تلفظه، وقد استطاع الفيلسوف الانجليزي **ج.أوستين** أن يبيّن أنّ فكرة معنى القول لا تكون إلاّ حالة تمثيليّة للعالم بمعزل عن تلفظه، ودراسة المعنى يجب أن تبتعد عن التّراكيب الجوفاء كقولنا:

البحر شاسع، الثّلج أبيض بمعزل عن سياقها، ولكنّ اللّغة تُستعمل لوظائف أخرى وكثيرة حسب السّياق، ونستخدم الكلام ذاته لتأدية فعل بعينه خاصة إذا كان الكلام هو الفعل ذاته، إذ نجد عبارات لا تُغيّر ولا تعوّض فيها شيئا ولكن مجرّد النطق بها يُغني الفعل مثل: "أنا أُسمّي هذا الكلب بوبي" عبارة يجب استعمالها حتى تتمّ تسمية الكلب[2].

تدور نظرية الأفعال الكلامية حول ملاحظة "**لأوستين** عام (1962) أثناء دراسته للغة "؛ فرّق فيها بين الاستعمال العام للجمل في حالتي الوصف أو التّحدث العادي وبين استعمال خاصٍ لجمل ما في سياق ما لحدث ما، ومفاد هاته الفكرة أنّه يمكن في الغالب استعمال الجمل للحديث عن أوضاع وأحوال معيّنة، فإنّ التّلفّظ ببعض الجمل مثل (17) وَ(18) لابُدّ أن يُعدّ في سياق بعض المواقف الخاصّة انجازًا للعمل:

17- أُراهنك على ستّة دنانير أنّ المطر سينزل غدًا إن شاء الله.

[1] – ينظر نعمان بوقرّة ،" **لسانيات الخطاب مباحث في التّأسيس والإجراء** "، ص172.

[2] –ينظر حمو الحاج ذهبيّة ،" **لسانيات التّلفّظ وتداولية الخطاب**"، ص137.

18- (بسم الله) سَمّيتُ هذه الباخرة الملكة إيليزابيت زهرة[1].

ولتّوضيح هذه النّظرية أكثر سنعرض أهمّ التّعريفات التي ارتأيناها مهمّة تذلّل بعض الصّعوبات أو الإشكالات التي تُواجه الباحث حول هذا المصطلح وهي كالأتي:

يورد لنا"**مسعود صحراوي**" مفهوما للفعل الكلامي كان حوصلة دراسة متأنيّة له لما جاء به العالمان "**أوستين** وَ **سيرل** "، وهذا في قوله:« وبالرّجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان **ج.ل.أوستين** وتلميذه **ج.سيرول** حول هذا المفهوم اللّساني التّداولي الجديد، فإنّ الفعل الكلامي يعني التصرّف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ومن ثمّ فالفعل الكلامي يُراد به الانجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرد تلفّظه بملفوظات معيّنة،ومن أمثلته: الأمر والنّهي والوعد، والسّؤال والتّعيين، والإقالة والتّعزية والتّهنئة ... فهذه كلّها أفعال كلاميّة [2]».

ويذهب "**دومينيك مانغون (Dominique.M)** في تعريفه للفعل الكلامي مذهبًا أكثر تفصيلا عن سابقه ذلك أنّه يُدخل كلّ المشاركين في عملية التّخاطب معتبرا بذلك الفعل اللّغوي أو الكلامي أو فعل الخطاب أيًا كان اسمه الوحدة الصّغرى التي تحقّق اللّغة من خلالها فعلا بعينه، كالأمر والطّلب والتّصريح و الوعد، غايته تغيير حال المتخاطبين؛

وهكذا فالفعل اللّغوي عند "**دومينيك مانغونو**" يندرج ضمن إطار مؤسّساتي يحدّد مجموعة من الحقوق والواجبات بالنّسبة للمشاركين في عملية التّخاطب، فهو بهذا التّحديد يلبي عددا من شروط الاستعمال التي بدورها تمثّل شروط النّجاح التي تسهم وتجعله مطابقا للسّياق[3].

---

[1]-ينظر ج . براون وَ ج. يول،"**تحليل الخطاب** "، ص277.

[2]- مسعود صحراوي، "**التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي**"، ص10.

[1]- ينظر دومينيك مانغونو،" **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ترجمة محمّد يحياتن**"، ط، الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة، 2008، ص7.

ويورد "**حافظ إسماعيل علوي** وَ**منتصر أمين عبد الرّحيم**" تعريفا موجزا للفعل الكلامي نقله عن "**فون ديك**" مفاده أنّه كلّ حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني؛ فالأفعال الكلاميّة بذلك تمثّل مظاهر التّعامل و لتّفاعل في آن واحد داخل الوسط الاجتماعي[1].

إنّ هذه التّعريفات السّالفة الذّكر على أنّ الفعل الكلامي هو حدثٌ حاصلٌ بفعل الإنسان يُنجزه بالكلام؛ أي هو الحدث الذي يتمّ من خلال فعل الكلام، أوتصرّفٌ اجتماعيٌّ يُحدثه المتكلّم ضمن شروطٍ خاصّةٍ تشترك فيها كلّ عناصر العمليّة التّخاطبيّة التي يُحدثها المخاطب ويكون صداها في المستمع ضمن شروط محدّدة تُطابق سياقا خاصًا، بمعنى أنّه بمجرد النّطق بالكلام يحدث الفعل مباشرة في آن واحد.

لقد أولت نظريّة الأفعال الكلاميّة أهميّة بالغة للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي المنجزة من قبل الإنسان بمجرّد تلفّظه لمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محدّدة، ويُشير"**عمر بالخير**" أيضا إلى أنّ "**أوستين**" لا يقصر وظيفة اللّغة في إيصال المعلومات، والتّعبير عن كوامن النّفس فحسب، بل يعتبرها مؤسّسة كفيلة بتحويل الأقوال إلى أفعال عند صدورها ضمن مقام يسمح بذلك.[2]

كما يشير أيضا إلى أنّ"**أوستين**"ينطلق في تفسير نظريّته تلك من انتقاد الفكرة السّابقة؛ التي تعتبر كلّ الأقوال يمكن إخضاعها لمعياري الخطأ والصّواب، بل إنّ هناك أساليب وتعبيرات لغوية لا يمكن وصفها بذلك حتّى أنّ الشّخص حينما يتلفّظ بها يكون قد أنجز في ذات الوقت فعلا اجتماعيا أسماه "**أوستين**" الفعل الكلامي؛ فحينما يقول فُتحت الجلسة يتم فتحها، حيث يدافع المحامي عن وكيله، ووكيل الجمهوريّة عن القانون

[1]– ينظر حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين عبد الرّحيم، "**التّداوليات و تحليل الخطاب بحوث مكمّلة** "، ص27.

3– ينظر عمر بلخير، " **مقالات في التّداولية و الخطاب** "، ص128.

والضّحايا، وأنّه حينما يتلفّظ بالحكم في حقّ المتّهم سيكون له تأثيرٌ على ما سيحدث للمتّهم بمجرد انتهاء القاضي بنطق عبارة الحكم[1].

ولكثرة السّياقات في المجتمع واستحالة حصرها قام "**أوستين**" بمحاولة تصنيف الأفعال الكلامية في زُمرٍ يراها هو وظيفيّة وهي:[2]

- الأفعال الدّالة على الحكم: التّبرئة، الحكم، التّقدير، والتّحليل.
- أفعال الممارسة: الانتخاب، التعيين، الاستشارة، التّرشيح.
- أفعال الوعد: الرّهان، التّعهد، الضّمان.
- الأفعال السّلوكية: الاعتذار والتّهنئة، التّعزية، الشّكر.
- أفعال العرض: الإثبات، التّأكيد، النّفي، الوصف، التّعريف، التّأويل.

2- أقسام الفعل الكلامي

استحوذ مصطلح الفعل الكلامي على اهتمام"**أوستين**"طيلة مراحل بحثه، حتى تقرّر تقسيمه لهذا الفعل في آخر مرحلة منه (البحث) إلى ثلاثة أفعال فرعيّة كانت على النّحو الآتي:[3]

2-1-فعل القول (أو الفعل اللّغوي): ويُراد به إطلاق الألفاظ في جملٍ مفيدةٍ ذات بناء نحويّ سليم وذات دلالة؛ فهو يشتمل بالضّرورة على أفعال لغويّة فرعيّة وهي المستويات اللّسانية المعهودة، المستوى الصّوتي، والتّركيبي، والدّلالي، فيما يسمّيها أفعالاً يوزّعها كالآتي:

[1]- ينظر عمر بلخير، " **مقالات في التّداولية و الخطاب** "، ص128.

[2]-ينظر " **مقالات في التّداولية و الخطاب** "، ص 128-129.

[3]- ينظر مسعود صحراوي،"**التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي** "، ص41-42 ،وَ ينظر جميل حمداوي، **التّداوليات وتحليل الخطاب**، ص32.

2-1-1-فالفعل الصّوتي: وهو تلفّظ سلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة ما.

2-1-2-الفعل التّركيبي: فالمتكلّم فيها يؤلّف مفردات عدّة طبقا لقواعد وقوانين لغة معينة.

2-1-3- الفعل الدّلالي:فهي توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ وإحالات معيّنة.

فقولنا مثلا إنّها ستمطر، يمكن أن يفهم معنى الجملة ومع ذلك لا ندري أهي إخبار على أنّها ستمطر أم أنّها تحذير من عواقب الخروج في رحلة ما، وتحديد مقصدية الجملة لا يتأتّى إلاّ بالرّجوع إلى قرائن السّياق[1].

2-2- **الفعل المتضمّن في القول:** وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، وهذا الصّنف هو المقصود من النّظرية برمتها، ولهذا اقترح "**أوستين**" تسمية الوظائف الثّانوية خلف هذه الأفعال بالقوى الإنجازيّة ومن أمثلته: التّساؤل، جواب التّساؤل، إصدار، تأكيد،تحذير، وعد، أمر، في شهادة في محكمة ...إلخ، والفرق بينها أنّ الثّاني قيام بفعل ضمن قولٍ ما، فيما الأوّل هو مجرّد قول ما.

2-3-الفعل الناتج عن القول: وفي هذا يرى"**أوستين**"أنّه ومع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمّن في القول (القوّة)، فقد يكون الفاعل وهو الشّخص المتكلّم قائما بفعل ثالث هو التّسبب في آثار في المشاعر والفكر. ومن أمثلتها (الآثار): الإقناع، التّضليل، الإرشاد، ... إلخ.

هذا وقد ميّز "**أوستين**"بين نوعين من الأفعال وهي:[2]

[1]- ينظر جميل حمداوي، " **التّداوليات وتحليل الخطاب** "،ص32.

[1]- ينظر نعمان بوقرة، **لسانيات الخطاب مباحث في التّأسيس والإجراء**، ص97.

- **أفعال إخباريـــة تقريـرية وصفيّـة:** يمكن أن نحكم عليها أوأنّ نصفها أنّها صادقة أوكاذبة.
- **أفعال أدائيّة إنجازيّه:** يمكن أن تكون موفّقة وغير موفّقة مثل التّسمية، الوصيّة، الاعتذار، الرّهان، النّصح، الوعد، وتحقّق هاته الأفعال مرهون بجملة من الشّروط.

وفي هذا السّياق يورد لنا "**حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين**" تفرقة بين الأفعال التّقريرية والأفعال الإنجازية مدعِّما آراءه بأمثلة، وذلك في قوله: « تتّصف هذه الأفعال بخصيصة التّحقيق بعد التلفّظ بها، وهي بخلاف الأفعال التّقريرية، فعندما يتلفّظ شخص طالبا الزّواج أو وليّه بعبارة "قبلت" عندما يقول له ولي البنت "زوّجتك ابنتي" فهذا يعني أنّه قبل الزّواج بمجرد نطقه لأنّ التكلّم بشيء ما هو فعله وانجازه. إنَّ فعل القبول نفسه متضمّن في صيغة إنّي قبلت ولا يتأنى من جهة أخرى، وبالمثل نقف على ذلك في صيغة <<أعدك >> و << أسمّي >> و << رُفعت الجلسة >> وكل صيغ الحصر هي أفعال إنجازية [1]».

وكما تقرّر سابقا أنّ الأفعال الإخبارية التّقريرية عند"**أوستين**" تتميّز بخصيصة الصّدق والكذب، فلقد تجلّت هذه الخاصيّة أيضا في التّمييز الذي قام به **(أوستين)** بين الأقوال الخبريّة والإنشائيّة، وذلك في مقولة أوردها لنا "**صابر حباشة**" في كتابه الموسوم بلسانيات الخطاب الأسلوبيّة والتلفّظ والتّداولية، فقد« أقام **أوستين** تمييزا بين الأقوال الخبريّة والأقوال الإنشائيّة، فالأقوال الخبريّة هي أخبار تتمثّل مهمّتها في وصف الظّواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون، ولهذه الأقوال (أوالقضايا التي تعبّر عنها) خاصيّة تتمثّل في كونها لا يمكن أن تكون صادقة أوكاذبة، أمّا الأقوال الإنشائيّة فليس لها قيمة حقيقة إذ نستعملها لنصنع شيئا ما لن نقول إنّ شيئا ما صادقا أو كاذبا فجمل من

[1]– حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين عبد الرّحيم، " **التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكملة** "، ص42.

قبيل"أسمّي هذه باخرة الحريّة أوأنصحك بالإقلاع عن التّدخين هي أقوال لإنجاز ضرب مخصوص من العمل لا يُمكن أن يُنجز بشكل آخر [1]».

إنّ مصطلحي الخبر والإنشاء مصطلحين طالما تقرّر ذكرهما في دراسات علمائنا السّابقين في تراثنا العربي، ولقد حضيت هذه الثّنائيّة باهتمام الدّارسين منذ القدم وجال فيها علمائنا وفصّلوا فيها حتى تكرّر ذكرهما عند"**أوستين**" تحت محور أو بالأحرى ظاهرة وسمَّها بالأفعال الكلاميّة، كونهما الأساس الذي يرتكز عليه الطّرح التّداولي عند "**أوستين**".

وما يدعم قولنا. هذا الطّرح الذي يُقدّمه "**مسعود صحراوي**"؛ ذلك أنّه كان من الأوائل الذين تنبّهوا لنقطة الاشتراك هاته بين ما كان في دراسات علمائنا السّابقين، وبين ما توصّل إليه أصحاب هذه النّظريّة، وذلك جرّاء تتبّعٍ ودراسةٍ ومقارنةٍ قام بها هذا الأخير باستحضاره لدراسات كلٍّ منهم، وفي ذلك يفصّل:« هذا وقد بُحثت ظاهرة الأفعال الكلاميّة في تراثنا العربي ضمن نظريّة الخبر والإنشاء واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء [2]».

ويوافق"**مسعود صحراوي**"في ذلك "**عمر بلخير**"، حيث يُشير هو الآخر إلى أنّ "**أوستين**" في بداية محاضراته،وأثناء تمييزه بين الأقوال التّقريريّة والأقوال الإنجازيّة: هو تقسيم نجد له أثرا عند البلاغيين وعلماء الأصول العرب القدامى، ذلك الذي يجعله يكاد يُجزم بأنّ "**أوستين**" قد استمدّ أُسس تقسيمه من الدّراسات العربيّة القديمة للّغة تحت مقولة أنّ (المعرفة الإنسانيّة الحاليّة ما هي إلاّ استمرار لمعارف سابقة) لاتّصال بالحضارة

1–صابر الحباشة،" **لسانيات الخطاب الأسلوبيّة والتّلفّظ والتّداولية** "، ط1، سورية: دار الحوار للنّشر والتّوزيع ،2010، ص199–200.

2– مسعود صحراوي، " **التّداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي**"، ص6.

الحاليّة مع الحضارة العربيّة في الأندلس[1].

كما يذهب أيضا إلى أنّ:« التّخاطب يتأسّس على تأديّة المتخاطبين لأفعال الكلام لذلك أحاط العرب بظاهرة الأغراض أو الأساليب الإنشائية إحاطة شاملة ونظاميّة يرى البلاغيّون أنّ ثنائيّة الخبر والإنشاء هي الأصل في اللّغة[2] ».

وفي هذه المقولة جزم وإقرار على وجود الأفعال الكلاميّة في الخطاب وبين المتخاطبين، تلك الأفعال التي تظهر أصولها عند علمائنا القدامى.

3- الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة

3-1- الأفعال الكلاميّة المباشرة

يلاحظ "**أحمد المتوكّل**" أنّ هناك اتّجاهين اثنين في دراسة الأفعال الكلاميّة المباشرة وهما اتّجاه نحويٌّ **وآخر تداوليٌّ**:[3]

3-1-1-الاتّجاه النّحوي؛الذي ينظر فيه النّحاة في عبارات الاستفهام والأمر وغيرها على أنّها أشكال، وهم يفصلونها بذلك عن وظائفها التّداوليّة، بهذا التّفسير تُمثّل اتّجاها صوريّا.

3-1-2-الاتّجاه التّداولي؛ الذي تتجلّى معالمه في كتب البلاغة والأصول، والأفعال الكلاميّة عند هؤلاء هي أفعال حقيقيّة، تحقّقها الذّات المخاطبة في مقامات بارزة .

[1]- ينظر عمر بلخير،**نظريّة الأفعال الكلاميّة وإعادة قراءة التّراث العربي**"، مجلّة الأثر، جامعة تيزي وزّو- الجزائر، عدد خاص: أشغال الملتقى الدّولي الثّالث في تحليل الخطاب،ص69.

[2]-عمر بلخير، "**مقالات في التّداولية والخطاب** "، ص115.

[3]- ينظر **المرجع نفسه**، ص116.

3-2- الأفعال الكلامية غير المباشرة

وهي على حدّ قول " **فاندايك**":« وفي حالة أفعال الكلام غير المباشرة من نحو هل يُمكنك أن تُقرضني بعض النُّقود؟ أو من نحو هناك عجلة فاسدة في السّيارة، وهما عبارتان دالّتان على الطّلب والتّنبيه ويكون المحتوى المقصود مطابقا للشّرط الضّروري لإنجاز فعل الكلام، مثلا ينتمي هذا المحتوى إلى إمكانات المخاطب وقدراته أوإلى وجوده في موقف خطر[1]».

من خلال ما تقرّر ذكره من مفاهيم وتعاريف كانت"**لأوستين**"، ومن خلال تلك الرّؤى والانتقادات لعلمائنا الكرام، يظهر جليّا ذلك التّرابط أو الاشتراك بين ما كان في تراثنا العربيّ من مفاهيم حول مصطلحي الخبر والإنشاء، وبين ما توصّل إليه "**أوستين**" حول نظريّة أفعال الكلام خاصته، وما يندرج تحتها من مصطلحات أخرى مقابلة لما كان عند القدامى، وإن كان هناك اختلاف في المصطلحات لا أكثر،فإنّ مفاهيم تلك المصطلحات تكاد تكون مطابقة لما كان عند البلاغيين وعلماء الأصول والعرب.

عكفنا في مبحثنا هذا على إبراز ملاحظات ومفاهيم "**أوستين**" حول نظريّة أفعال الكلام خاصته؛ فأوردنا بذلك تعريفات عدّة فحواها، أنّ الفعل الكلامي هو إنجاز لحدث من خلال تلفّظ المتكلّم لشيء ما،فيما مررنا على تصنيفه لتلك الأفعال التي كانت بناءً للحقل الذي يحكمها.

ويقسّم "**أوستين**" الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام؛ كان القسم الثّاني فيها محور دراسته ألا وهو الفعل المتضمّن في القول، في حين يعكف على التّمييز والتّفريق بين الأفعال الإخباريّة والتّقريريّة، وهنا كانت نقطة الاتّصال بينه وبين القدامى خاصتنا.

[1]- فان دايك، "**النصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي**"، ص271.

كما عرضنا لمقولتين أو أكثر لعلماء عرب يجزمون من خلالها أنّ هاته الثّنائيّة موجودة في تراثنا العربيّ، وفي الأخير أوردها طرح أحمد المتوكّل للأفعال الكلاميّة المباشرة والأفعال غير المباشرة.

المبحث الثّاني:مقصديّة المتكلّم بين الخطاب والدّرس التّداولي

الخطاب سمة مشتركة بين التّداولية ولسانيات الخطاب؛ ذلك أنّ كلا المنهجين يعتبر مقاربة لموضوع واحد وهو الخطاب؛ وبهذا التّفسير وعلى هذا الأساس سيكون للقصد في الدّرس التّداولي كما في لسانيات الخطاب عدّة نقاط مشتركة، بهذا الاعتبار يحتلّ موقعا مهما في خطاب المتكلّم كون كلام المخاطب مرهون به، وإدراك المتلقي لا يكتمل إلاّ بفهمه وتأويله فهو جوهر العمليّة التّواصلية بين جميع عناصرها.

1-مفهوم القصد

عرّجنا فيما سبق على عدّة تعاريف كانت لعدد من الدّارسين العرب والغربيين، وكان مفهوم "أوستين" في طليعتهم . وأدركنا أنّ للقصد الدّور المهم بل الأهمّ في نجاح العملية التّواصليّة، بيد أنّ ذلك لا يمنع من استحضار تعاريف أخرى لهذا العنصر حتى نتمكّن من التّعريف به أكثر وطرق جميع جوانبه.

ويعتبر القصد من أهمّ المفاهيم التي شدّت انتباه الدّارسين في العقود الأخيرة التي خلت، فتضاربت وجهات النّظر حول مفهومه كلٌّ حسب وجهة ارتضاها وأراد السّير عليها، وذلك ما سنستحضره وندرجه من خلال تعريفات كانت لبعض العلماء والباحثين.

اهتمّت العديد من الدّراسات اللّسانية والفلسفيّة عند الغربيين وبالأخصّ الدّراسات الأمريكيّة بموضوع القصد والقصديّة في إنجاز الخطاب وتأويله؛ ويرجع ذلك لنشأة

المدرسة التّداولية في بادئ الأمر في أمريكا من خلال دراسة للفيلسوف "**جون سورل**"عن القصديّة من وجهة نظر فلسفة اللّغة والعقل،"**عمرو روبرت ستانلاكر(Robert stanlakr)**، الذي درس فيها علاقة السّياق بالمعنى والقصد وآخرون غيرهم[1].

أمّا عن الدّراسات العربيّة المعاصرة فنلحظ اهتمام العديد من الدّارسين بهذا الموضوع نظرا لتمكّن الدّرس التّداولي من شقّ طريقه في العقود الأخيرة بالجامعات العربيّة، بتسجيل العديد من الجهود لباحثين كانت لهم مقارنة بين التّراثين العربي والغربي في مجال المعنى والدّلالة من أمثال "**طه عبد الرّحمن**"وَ "**بن عيسى ازابيط** "وَ "**صلاح إسماعيل عبدالحق**" وَ "**إدريس سرحان**" وَ"**أحمد المتوكّل**" وَ" **حسام الباهي** " ، وغيرهم[2].

ويورد لنا"**جون سيرل**" تحت رؤية فلسفيّة معتبرا القصديّة صفة تجمع الحالات العقليّة والحوادث التي توجّهها إلى موضوعات العالم الخارجي، ومفاد هاته الرّؤية أنّ:« القصديّة صفة للحالات العقليّة والحوادث التي يتمّ بها التّوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها ... أطلق المذهب التّقليدي الفلسفي على صفة توجّه الموضوعات أو الإشارة إليها والتّحدّث عنها اسم القصديّة **Intentionality**، ولكنّ المصطلح لم يكن دقيقا»[3].

وبهذا التّفسير ومن ذلك المنطلق الذي يطرحه "**جون سيرل**" يظهر جليّا عدم رضاه لما أقرّ به المذهب التّقليدي حين أطلق مصطلح القصديّة على صفة التّوجه للموضوعات

[1]– ينظر إدريس مقبول، "**في تداوليات القصد، مجلّة جامعة النّجاح للأبحاث العلوم الإنسانيّة**"، المغرب، المجلّد: 28، العدد: 5، ص1208.

[2]– **المرجع نفسه**، ص1209.

[3]– عمر بلخير، "**مقالات في التّداولية والخطاب** "، ترجمة أحمد الأنصاري"، د.ط ، بيروت: دار الكتاب العربي، 2009، ص21.

أو الإشارة إليها، وقد كان ذلك وفق ثلاث رؤى ارتضاها وهي كالآتي:[1]

- **أوّلا:** لا يمكن تعميم ووصف كل الحالات العقليّة والحوادث أنّها قصديّة، باعتبار أنّ المعتقدات والمخاوف والرّغبات هي فعلا حالات قصديّة، بيد أنّ الانفعالات والبهجة والقلق غير المبرّر هي حالات غير قصديّة.
- **ثانيا:** القصدية لا تعني الوعي لأنّ هناك العديد من الحالات الواعية مثلا: ليست قصدية مثل الشّعور المفاجئ بالسّعادة والفرح، كما أنّ هناك العديد من الحالات القصدية ليست واعية ؛ مثلا قد يكون لديّ العديد من المعتقدات لا أفكّر فيها الآن.
- **ثالثا:** تعدّ المقاصد والقصد مجرّد صور من القصديّة ، وأنّ ليس لهذه المقاصد وضع خاص؛ومن وجهة نظر (سيرل) ؛ فلا يكون القصد من القيام بفعل معيّن إلاّ مجرّد صورة من صور القصديّة مثل: الاعتقاد والأمل والخوف والرّغبة .

ويربط "**عمر بلخير**" المقصديّة بطرفي العمليّة التّخاطبية المتكلّم وما يدور في خلده باستمرار أثناء إصداره لملفوظاته؛ والمقصديّة بهذا الاعتبار ترتبط بكلّ ما من شأنه أن يحفّز المتكلّم على تحريك العمليّة التّبليغية سواءً ارتبط بما تمّ التّصريح به أو لم يرتبط. هذا ويفترض علاقته بالمتلقّي أيضا باعتباره يؤدي وظيفته كمساعد في تأويل الملفوظات و النّصوص، وذلك باعتبار المتكلّم قليل التّصريح عن مقاصده وعلى المحلّل أو المتلقي أن يبحث ويفسّر ويؤوّل كلّ شبر من ملفوظات المتكلّم هذا من جهة، وفي مختلف الظّروف التي تُسهم في صدور الملفوظات من جهة أخرى[2].

فيما يورد لنا كلّ من "**إسماعيل علوي** وَ**منتصر أمين**"مقاصد المتكلّم تحت مصطلح المعاني الضّمنيّة هاته الأخيرة التي تلعب الدّور المهمّ في أثناء عمليّة فهم الملفوظ، وهذا حسب "**غرايس**"أي أنّ:« ما يقصده المتكلّم أو ما يومئ إليه على غير مايُستشفّ من

[1]– ينظر عمر بلخير، " **مقالات في التّداولية و الخطاب** "، ص21.

[2]– **المرجع نفسه**، ص64–65.

كلامه الصّريح، ولكنّ هذه المعاني الضّمنية مرتبطة من وجوه بالدّلالات التّعيينيّة التي فقدت بريقها البلاغي، فصارت مُبتذلة بعامل الاستعمال بما في ذلك بعض المفاهيم الذّهنية مثل: الإرادة والانتباه والوعي والقصد والعرض ... ينبغي أن نستدعي هنا تلك التّساؤلات التي أوردها "**فون دايك**" بخصوص تلازم ربط الأفعال بالمقاصد، وإلاّ فإنّ جميع الأفعال لا تفتقر إلى دواعي ومقاصد محدثة لها [1]».

كما يربط الكاتبان الخطاب بالتّمثيل العقلي عن طريق الوعي بمقاصد هو القدرة على إدراك معانيه، وهذا يتطلّب دراية كلّ من المخاطب والمتلقّي بالقواعد المشتركة التي يشتغل وفقها نظام الخطاب اللّساني وكذا الأبعاد الدّلالية والبراغماتيّة التي توجّه صاحب الخطاب إلى ضبط حالاته القصديّة الأصليّة المستمدّة، بيد أنّ عمليّة التّوجيه هاته لا تخضع للخطاب فقط بل تتجاوزه إلى قدرة العقل المنتج له على تمثّله؛

وباعتبار أنّ هاته العمليّة تتجاوز البعد اللّساني إلى أبعاد أخرى ذهنيّة كون أنّ اللّغة تخدعنا ظنّا منا أنّ كلّ اسم يدلّ على شيء في الواقع، غَير أنّ هناك أسماء وليست أشياء مثل: أسماء الأعلام، وأسماء أخرى مجرّدة مثل الشّجاعة ،والتّقوى ،وغيرها.

كما يوضّحان أنّ الخطاب يندرج أو ينطوي على جميع الحالات القصديّة التي يعيشها المتكلّم ويتمثّلها ذهنيًّا محاولا إيجاد ما يبرّر لها في الواقع من اعتقادات ورغبات وأحاسيس ومشاعر[2].

فيما يُدرج "**خليفة بوجادي**" المقصديّة لتشمل القوّة الإنجازية التي باتت محلّ اهتمام التّداوليين في الجمل التي تشمل كلّ ما يواكب جملة أو نصّا ما كاملا من مقاصد أثناء

[1]– حافظ إسماعيل علوي وَ منتصر أمين عبد الرّحيم، "**التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة**"، ص48.

[2]– ينظر **المرجع نفسه**، ص301–302.

التّواصل، نحو الإخبار والاستفهام والأمر وغير ذلك، ليمتدّ ويشمل كلّ موجّهات الخطاب من أدوات استفهام وغيرها[1].

وصفوة الحديث أنّ جلّ التّعريفات التي عرّجنا عليها ومن خلال الرّؤى التي أشاد بها كلٌّ من "**سيرل**"وما تحدّث به كلّ من "**حافظ إسماعيل علوي**وَ**منتصرأمين**"عن وجهة "**غرايس**"، أنّهم يربطون القصد أو القصديّة بكلّ ما له علاقة بالفكر والعقل، وبشكل أدق هي صفة جامعة لكلّ الحالات العقليّة الكامنة في فكر الإنسان من أحاسيس ومخاوف و رغبات وغيرها بُغية التّعبير عليها أو تجسيدها في العالم الخارجي.

وما المقصديّة إلاّ صورة من عديد الصّور التي تندرج أو ضمن عقل الإنسان يُخرجها المتكلّم وفق محفّز أو دافع أو بالأحرى سياق ومقام ما يُجبرها على ذلك. فيما يربطها "**عمر بلخير**" بطرفي العمليّة التّخاطبية؛ باعتبارها رؤية عند الكثير من الدّارسين كنّا قد عرّجنا أو ذكرنا العديد منهم.

2- أنواع القصد

أشرنا فيما سبق إلى نوعين من المقاصد أقرّ بهما "**ويلسون** وَ**سبربر**" وهما؛ القصد الإخباري، والتّبليغي (التّواصلي)، فيما تورد " **نعيمة السّعدية**" في دراسة لها حول الخطاب الشّعري الذي يدور بين سلطة القصد وفاعليّة القراءة، هذا العنوان الذي يشير إلى علاقة كلٍّ من المتكلّم المخاطب والمتلقي المستمع بالقصد، كما تشير إلى نوعين آخرين اقترحهما "**آن روبول** وَ **موشلار**" من المقاصد:« الأولى متّصلة بالقول وهي المقاصد الموضعيّة، والثّانية مقاصد تتّصل بالخطاب وهي المقصد الإجمالي لـ: "ما الذي يمكن أن يقصده المتكلّم من بين ما يُتاح له من معانٍ محتملة وهذه المعاني الاحتمالية التي تتحقّق في صيغ واقعيّة هي العناصر المعجميّة والمباني التّركيبيّة على النّحو الذّي

[1]- ينظر خليفة بوجادي، "**في اللّسانيات التّداولية مقاربة بين التّداولية والشّعر دراسة تطبيقيّة**"، ص47.

يمكن للمتكلّم أن يقوله. ومن هذا المنطلقات العلم بالمقاصد ضرورة أساسيّة لتكوين الخطاب وتحقيق أغراضه [1]».

وتقول الدكتور"**سعدية**" أيضا:« ولكي يُوصل المرسل مُراده إلى المرسل إليه، هذا الأخير الذي يجد نفسه مجبراً على معرفة مقاصد المتكلّم في سبيل تحقيق ممارسة فعلها التّأويلي لتلقي الخطاب [2] ».

هذا وتّدرج" **خلود العمّوش** " في دراسة لها للخطاب بشكل عام، وللخطاب القرآني بشكل خاص، وعن الحكم الشّرعي بالتّحديد؛ باعتباره خطاب الله المتعلّق بأفعال الكلّفين أي المخاطبين حين درس الفقهاء أحوال الحكم الشّرعي بحسب اختلاف المخاطبين؛ فقسّم بذلك علماء الأصول مقاصد الخطاب إلى نوعين:[3]

- ✓ **مقاصد كليّة:** وهي مطلقة عامة تختصّ بالخطاب الشّرعي جملة وهو مطّرد في كلّ أبوابه.
- ✓ **مقاصد جزئيّة:** تُهيمن على النصّ الخاصّ، تحدّد مضمونه وترسم مجال تطبيقه.

ومن هذا التّحليل تظهر العلاقة بين المقاصد والخطاب واضحة مفادها، أنّ الأحكام مرتبطة بالغايات وهذا ما يُذكّرنا بعنصر الهدف وأثره على بنية النصّ.

ويبقى القصد مسألة زئبقيّة بين كلّ من المتكلّم المخاطب الذي يكمن وراء خطابه

غاية وهدف يُريد ايصاله إلى المتلقّي، ينتقي من الكلمات ما يشاء من قاموسه اللّغوي ينتقي منها ما هو كفيل بإيصال حاجاته وما هو معبّر عن خلجاته وبين مُستقبل

---

[1]– نعيمة سعديّة ،" **الخطاب الشّعري بين سلطة القصد وفاعليّة القراءة استنطاق لنص أمير من المطر...وحاشية من الغبار لمحمّد الماغوط**" ، ص 250–251.

[2]– **المرجع نفسه**، ص251.

[3]– ينظر خلود العموش، "**الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ والسّياق مثل سورة البقرة**"، ط1، الأردن، إربد: جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث،2008، ص112.

للخطاب، يسعى كلّ جهده ليفكّ شفرات تلك الكلمات ويُؤوّلها قدر المستطاع ليعرف ما يريد المتكلّم ايصاله له، وهكذا يتمّ التّواصل بين بني البشر منذ أن خلق الله هذه الدّنيا، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

إنّ القصد مسألة جوهريّة في حياة بني البشر تشترك في دراسته العديد من المناهج، ويتواشج على التّعريف به والبحث في خباياه نفرٌ من الباحثين والدّارسين منذ القِدَم، فكان لكلّ واحد منهم مفهومه الخاص حسب وجهة طرحها ليأتي من بعده فيضيف عليها أويُعيد صياغتها أو يعدل إلى وجهة أخرى مخالفة لها أو معقّدة عليها.

غير أنّ جلّ التّعريفات التي عرّجنا عليها تشترك في أنّ القصد هو مسألة سابقة للتلفّظ ترتبط بغاية وهدف بعينه وفق مقام يُطابق غايته، فمنهم من كانت نظرته معقّدة ربطها بالفكر والعقل، ومنهم من كانت وجهته مبسّطة ربطها بالمخاطب والمتلقّي معًا من خلال غاية وهدف ما ... وغيرهم.

فيما أوردنا نوعين آخرين من المقاصد: مقاصد موضعيّة مرتبطة بالقول، والثّانية مقاصد متّصلة إجمالية مرتبطة بالخطاب؛ إذ تُعد نتاج العديد من المعاني التي تكمن في عمق الإنسان يختار منها واحدة أو معنى واحد ليُجسّده في قوالب معجميّة أو تركيبيّة.

المبحث الثّالث : السّياق الثّقافي داخل الخطاب.

قِوام الدّرس التّداولي مجموعة من القضايا والسّياق واحد منها وضمنها، أخذ به العديد من الدّارسين وجالوا حوله، فلا تكاد تخلو دراسة عربيّة أوغربيّة كانت قديمة أوحديثة من الإشارة لهذا المبحث، هذا وقد كانت لنا محطّة حول هذا المحور في الفصل الثّاني، بيد أنّ هذا لا يمنع من إيراده في هذا المبحث، كإرهاص يُخوّل لنا الوُلوج لمعرفة مفاهيم السّياق الثقافي تحديدا.

1- مفهوم السّياق

قبل أن نتكلّم عن السّياق الثّقافي الذي هو محور حديثنا في هذا المبحث، سنعكف على إيراد وبسط بعض المفاهيم التي قيلت في السّياق بشكل عام عند التّداوليين ككل، كونه المحور الأشمل الذي يندرج ضمنه السّياق الثقافي أولاً، ولأنّنا لا نستطيع الوُلوج لمحورٍ ما قبل أن نمهّد له داخل إطاره الذي يتواجد فيه كي لا نشتّت ذهن القارئ ثانيا.

تعدّدت الخطابات وتعدّدت تأويلاتها تبعا لسياقاتها باعتبار أنّ السّياق والخطاب وجهان لعملة واحدة فلا معنى لواحدٍ منهما دون الآخر، ولا معنى ولا تأويلَ لخطابٍ ما

دون ربطه بسياقه، كما لا يمكن الحديث عن سياقٍ ما دون خطابٍ يوضع فيه ويفسّر سبب نزوله[1].

يشير "**بشير إبري**" في مفهومٍ له عن السّياق أنّه ليس جهازا يمكن للملاحظ الخارجيّ الإحاطة به، بل يجب النّظر إليه عبر التّصوّرات المتباينة التي يتصوّرها المشاركون؛ فلكي يسلك هؤلاء السّلوك أو المنحى المناسب، يجب عليهم اعتماد مؤشّرات متنوّعة واستكشاف نوع الخطاب الذي يندرجون وينخرطون فيه ليحدّدو مسارهم؛

فعندما نبرح أنواع الخطابات المنمّطة جدًّا فإنّ السّياق سرعان ما يلبث أن يكون نتاج بناء المتفاعلين، وكثيرا ما تكون طبيعة نوع الخطاب ودور المشاركين فيه، وطبيعة الإطار الزّماني موضوع صراعاتٍ ومفاوضاتٍ في نهاية التّخاطب؛ ذلك أنّه يمكن للسّياق أن يعدِل عن المسار الذي كان عليه في البداية، وسبب ذلك في الغالب تلك المعلومات والسّلوكيات المعتمدة في التّفاعل قد تكون ساهمت في تحويره وتغييره وعدوله[2].

يذهب "**فرانسوا أرمنكو**" في تعريفه للسّياق وجهةً منطقيةً مجسّدة؛ معتبرا إياه وضعية ملموسة تتجسد من خلالها مقاصد المتكلّمين في مكان وزمان محدّدين، ولكي نفصّل أكثر في هذا المفهوم نُدرج تعريفه وهو كالآتي:« ونقصد به الوضعيّة الملموسة والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخصّ المكان والزّمان، وهويّة المتكلّمين ...إلخ، وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقييم ما يُقال وهكذا نُدرك أهميّة السّياق حين نُحرم منه مثلا، وحين تنتقل إلينا المقاصد عبر وسيط وفي حالة معزولة عن السّياق [3] ».

ويعترف "**فرانسوا أرمنكو**"في مفهومه بكلّ ما هو مجسّد لا مبنيّ على التّأويل فقط،

---

[1]– ينظر عبد الوهاب صديقي، " **الخطاب والسّياق في لسانيات التّراث**"، مجلّة جذور، العدد: 40، إبريل 2015، ص145.

[2]– ينظر بشير إبرير، "**آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه**"، ص29–30.

[3]– فرانسواز أرمنكو، **المقاربة التّداولية**، ص13– 14.

وجهة تُلفظ من خلالها مقاصد موافقة لمكان وزمان معيّنين، وبالتّحديد وجهة معروفة المتكلّمين بُغية فهم وتقييم ما يُقال.

أمّا"**خلود العموش**" فتدرج مفهوما للسّياق كونه الحكَم والفيصَل، والمعيارَ الذي يرجعون إليه في التّفريق بين دلالات الكلمات المتقاربة المعاني، وفي هذا تفصّل:« وكان معيارهم في التّدقيق بين الدّلالات هو الاحتكام للسّياق الذي يتمثل في الاستعمال المألوف والشّاهد المعروف من شعر أو مثل أو حديث أو رواية [1] ».

كما تشير"**خلودالعموش**" إلى جدليّة الحال والمقال، في تفرقةٍ لها تأخذها عن البلاغين لأنّها تربطهما بالبعد الزّماني والمكاني للكلام؛ فالأمر الذي يدعو المتكلّم إلى تقديم صياغة على وجهٍ مخصوص؛ إمّا أن يتّصل بزمن الصّياغة فيسمّى الحال، وإمّا أن يتّصل بمحلّها فيسمّى المقام[2].

وللسّياق الدّور المهمّ في تحديد معاني الكلمات، يرجع إليه الباحث أو الدّارس أوالمستمع أومتلقي الخطاب في تحديد معاني الكلمات وفكّ شفرات النّصوص والخطابات ليسهل فهمها وتحديد مقاصدها بدقّة، وهو بهذا الطّرح المرجع أو الحكم أوالفيصل في معرفة الفروق بين معاني الكلمات، و يشترك في تحديده عناصر عدّة نذكرها فيما يلي.

2- عناصر السّياق

أدرجنا فيما سبق عناصر للسّياق أقرّها كلٌّ من "**هايمس وَليفس**"؛ عناصرٌ يسعى كلّ واحد منها ويكمّل الآخر لتحقيق هدف واحد ألا وهو تحديد المقصدية التي ألقى بها المتكلّم، والتي يحاول المتلقّي البحث عنها من خلال هذه العناصر، في حين يحدّد "**جان**

[1]- خلود العمّوش، "**الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق مثل سورة البقرة**"، ص51.

[2]- ينظر **المرجع نفسه** ، ص55.

ميشال آدام" السّياق في عناصر ثلاثة وهي كالآتي:[1]

2-1-السّياق الخارجي: وهو السّياق أو وضعية التّفاعل الاجتماعي للخطاب؛ فهو إذا سياق وضعية التلفّظ والتّأويل.

2-2-المحيط اللّغويّ المباشر: والمقصود به سياق النصّ المصاحب Cotexte، والتّشكيل النصّيSchéatisation textuelle .

2-3-المعارف العامة المشتركة: والمقصود بها التّمثيلات الاجتماعية والمكتسبات الثّقافية السّابقة في التّاريخ، وفي الذّاتية المشتركة.

وأولى الدّارسون والباحثون والمفسّرون منذ القدم أهمية كبيرة للسّياق؛ كونه المرجع الذي يرجعون إليه في تفسير النّصوص والخطابات، فليس ثمّة خطاب لا ينتسب إلى الظّروف التي أنشأته، فهو يعكس ما لدى المتكلّمين من ثقافات ومرجعيات؛

وللتّفصيل أكثر في هذا نجد مقولة "**لأحمد الحيزم**" مفادها:« إنّ الشّعر العربيّ القديم أيًّا كان نصّه، خطاب الذّاكرة شرّعته الجماعة لذلك لا يمكن عزل الملفوظ عن ظروف التلفّظ وإن كان يعكس من المرجع شذراتٍ مشوّهة ... جميعها إجراءات تجذّر النّص من سياقه، وليس ثمّة من النصّ لا ينتسب إلى الظّروف التي أنشأته، إذ يردّد نسيجه، أصداء الثّقافة الشّائعة، الموروث منها والمصاحب ويقدُّ من تصاريفها بديلاً عنها، فإذا كان النصُّ عرضا حادثا في التّاريخ فإنّه يملك القدرة على تحويله، تلتقي في مجاله رياح الثّقافة ومؤثّراتها [2] ».

[1]- ينظر عمر بلخير، "**مقالات في التّداولية والخطاب**"، ص37.

[2]- أحمد الحيزم، "**من شعريّة اللّغة إلى شعريّة الذّات قراءة في ضوء لسانيات الخطاب**"، ص33.

3- مفهوم السّياق الثّقافي

تختلف السّياقات باختلاف الخطابات، فلا وجود للأوّل دون الثّاني، ولا وجود للثّاني دون الأوّل فهو(السّياق الثّقافي) نقطة اشتراك بين المخاطب والمتلقّي باعتبار الخطاب وليد المجتمع (السّياق الثّقافي)، وهذا بالنّسبة للمخاطب أوّلاً،وباعتباره (السّياق الثّقافي) مرجعا يُؤخذ منه طرف الخيط في تفسير النّصوص والخطابات بالنّسبة للمتلقي ثانيًا.

يذهب"**فان دايك**" في مقاله الموسوم بـ " النصّ بنياته ووظائفه مدخل أوّلي إلى علم النّص"، إلى تقسيم السّياق إلى مستويات وهي كالآتي:[1]

- السّياق التّداولي (النصّ كفعل كلاميّ).
- السّياق الإدراكي أو المعرفي (فهم النصوص).
- السّياق النّفسي الاجتماعي (تأثير النّصوص).
- السّياق الاجتماعي (النصّ في التّفاعل).
- السّياق الثّقافي (النصّ كظاهرة ثقافيّة).

ويورد"**فان دايك**" تعريفا للسّياق الثّقافي، معتبرا النصّ من خلاله ظاهرة ثقافيّة تحوي عدّة خلاصات مستنبطة من رحم البنية الاجتماعية، كما المحادثات وغيرها، وللتّفصيل أكثر في هذا الطّرح نورد مقولة له، والتي مفادها:« يعتبر النصّ ظاهرة ثقافية إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثّقافية، كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصّة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم [2] ».

---

[1]- ينظر فطّومة لحمادي، "**السّياق والنّص اتقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النصّي**"، ص10-11.

[2]- **المرجع نفسه**، ص12.

وفي هذا المنحى أيضا تسير "**حمو الحاج ذهبية**" في حديثها عن السّياق الثّقافي فتحدّده من خلال ربطه بعلاقة خاصّة بالخطاب الذي يُعد انعكاس لثقافة المجتمع، والتي هي جامعة لشتّى المعارف والعلوم، هذا الأخير (السّياق) ينعدم بانعدام التّلقي أساسًا، حيث« يرتبط الخطاب بالسّياق الذي تحدده ثقافة المجتمع فبانعدامه يصبح التّلقي من الأمور المستحيلة، والخطاب لا يتحدّد بجملة أو بمجموعة من الجمل بغض النّظر كونها مكتوبة أو شفويّة (منطوقة داخل حيِّز ثقافي معيّن... فتمثيل الحياة يعني الإلمام بعدد من المعارف والعلوم، وبالتّالي يختلط العنصر اللّساني بغير اللّساني لتشكيل بنية أخرى أو كليّة للكلام، تتّحد ضمن عالمها في سياق معيّن، ومنتمية إلى ذات معيّنة »[1].

كما يُدرج"**عبد الفتاح أحمد يوسف**" تعريفا للسّياق الثّقافي في كتابه المعنون ' "بلسانيات الخطاب وأنساق الثّقافة "، بوصفه نظاما اجتماعيّا يولد من خلاله هذا النّوع من الخطاب بالتّحديد دون غيره من الخطابات الأخرى، ويُستدلّ في طرحه هذا بأمثلة كانت في عصور سابقة وأخرى مواكبة للحداثة ومتزامنة لها، هذا التّمثيل الذي نستشفّه من خلال قوله:« السّياق الثّقافي وأقصد به النّظام الاجتماعي الذي يسمح لهذا الخطاب بالظّهور دون غيره من الخطابات الأخرى، مثل ظهور خطاب النّقائض العصر الأموي، وخطاب المعارضات في بداية العصر الحديث، وقصيدة النّثر حديثا »[2].

في حين تذهب "**خلود العموش**" مذهبا خاصًّا، لتُورد من خلاله وتستنبط مفهومها للسّياق الثّقافي من واقع ما، كان عند العرب سابقا وفي عصر الإسلام عند نزول القرآن الكريم تحديدا،ومن خلال ذلك تشير إلى أنّ علماء الإعجاز غالبا ما يبدؤون الحديث عن إعجاز القرآن الكريم بحديثهم عن بلاغة العرب وتمكّنهم من فنّ القول؛ ذلك أنّ الخطاب

[1]– حمو الحاج ذهبية،"**لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب**"، ص154.

[2]– عبد الفتّاح أحمد يوسف، " **لسانيات الخطاب وأنساق الثّقافة**"، ط1 ، الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ،2010، ص26.

القرآني جاء ليُعجز بلاغة العرب في فصاحتهم التي كانت قد بلغت ذروتها وأشدّها، وكأنّه يشار بذلك إلى سياق الثّقافة، ذلك أنّ معجزة القرآن في جنس ما يمهرون ليكون التّحدي أكبر وأظهر ثم إنّهم أيضا يُشيرون إلى الوقائع التّاريخية التي نزل القرآن الكريم في سياقها[1].

وهذا ما يجنح إليه علماء التّفسير في تفسيراتهم لآي القرآن الكريم؛ الذي هو انعكاسٌ أو صورةٌ لما كان في ذلك الزّمان ولتلك الأحداث التي جرت في ذلك الوقت، فكان علماء التّفسير يستحضرون أسباب نزول تلك الآيات في تفسيراتهم وتأويلاتهم لتحديد المعاني والمقاصد، وهذا ما يسمّى بالسّياق الثّقافي عند المحدثين.

وحصيلة التّعريفات السّابقة أنّ السّياق الثّقافي هو مصطلح يعكس ما للمجتمع من أحداثٍ، ومعارفٍ وعلومٍ، وعاداتٍ وتقاليدٍ، وبصفة عامة كلّ ما هو موجود في ذلك المجتمع، ليأتي صاحب الخطاب وينقل ويصوّر لنا ما هو موجود في مجتمعه ومحيطه من خلال كلمات وجمل في النّصوص، ومن خلال أصواتٍ وكلام يتلفّظ بها في الخطابات، فيصبح بذلك اللّسان النّاطق لذلك المجتمع، فكما يّقال أنّ" الشاعر ابن بيئته".

يهتم الدّارسون والباحثون منذ الأزل بالسّياق بشكلٍ عامٍ، وبالسّياق الثّقافي بشكل خاصٍ باعتباره مرجعًا يرجع إليه كلّ مفسّر ومستقبل ومستمع أو بالأحرى متلقٍ لخطاب ما لينهل ما فيه من معلومات وليصل إلى معرفة مكنونات ومقاصد المتكلّم.

ولمعرفة مفهوم السّياق الثّقافي أوردنا بعض التّعاريف كانت للسّياق بصفة عامة،لكي لا نظلّل القارئ أو الواقف في بحثنا هذا،فيسهل عليه ربط هاته المفاهيم ببعضها، وليفهم السّياق في معناه العام أوّلا، فيساعده ذلك في فهم السّياق الثقافي ثانيا، وبعد ذلك أدرجنا

[1]– ينظر خلود العمّوش، "**الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ والسّياق مثل من سورة البقرة**"، ص60.

التّقسيم الذي طرحه"**فان دايك**" من خلال خمسة مستويات تنوعّت فيها الأسيِقَةُ، وكان الأخير منها محلّ دراستنا.

وهذا ما مكّننا من الولوج إلى تعريفات السّياق الثّقافي التي كانت لكلٍّمن"**فان دايك**" أوّلا باعتباره صاحب التّقسيم وله فضل السّبق، ولتعريف "**حمو الحاج ذهبية**"، كما عرّجنا على تعريف آخر"**لعبد الفتّاح أحمد يوسف**"، فيما اختتمنا مبحثنا هذا أو بالأحرى مذكّرتنا هاته بتعريف "**لخلود العمّوش**" المستوحى من العصر الإسلامي لتستدل في طرحها بأرقى مثال ألاّ وهو " **الخطاب القرآني**"

وكما تطرقنا في الفصل الثّاني إلى نقاط الاشتراك التي كانت بين منهجي التّداولية ولسانيات النصّ، عكفنا على نفس الوتيرة بين منهجي التّداولية ولسانيات الخطاب الذين وقفنا فيهما على العديد من المفاهيم المشتركة بينهما؛ ذلك أنّهما دراستين لموضوع واحد وهو"**الخطاب**" فيما بينّا نقاط الاختلاف التي بين المنهجين والتي كانت حول المصطلحات لا أكثر. هذا وكانت هناك بعض الإضافات، وهذا من المسلّمات كون العلوم تراكميّة بطبعها؛ فما الدّراسات الحالية إلاّ إضافات لما كان من نقص شاب الدّراسات السّابقة.

الخاتمـــة

- **الخاتمة**

وعلى غرار ما تقدّم ذكره، ومن خلال تلك الرّؤى والمفاهيم التي أشاد بها كلٌّ من العلماء العرب والغربيين وتلك الانتقادات التي عرّجنا عليها وإن شابها بعض القصور وأفضت إلى خلط في بعض الأحيان فإنّ هذا الموضوع الموسوم بـ" **المنحى التّداولي بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب**" قد أفضى بنا إلى استخلاص بعض النّتائج وهي كالآتي:

1-جلّ هاته المناهج الثّلاثة (لسانيات النّص ولسانيات الخطاب والتّداولية)؛ تولي اهتماما بالغا للمتلقي بعكس المناهج السّابقة كون أنّ النّص لم يعد حكرا على صاحبه فقط ولا منطويا على نفسه بل انفتح على العالم الخارجي السّياق وأصبح للمتلقي الدّور المهم في تلقي النّص ونقده فبه يعلو ويرتفع شأنه، وذاك هو الشّأن أيضا في لسانيات الخطاب و التّداولية فكلاهما يجعل من المتلقي طرفا مهمّا في العمليّة التّواصلية.

2- الإحالة المقامية هي مربط تقاطع بين منهجي التّداولية ولسانيات النّص، فلا يكتمل المعنى ولا يتّضح إلّا بها، ومن خلالها؛ فهي تتعاون مع العناصر الأخرى في تحديد المقاصد.

3- السّياق أكبر محور تتضمّنه اللّغة تشترك فيه جميع المناهج على حد سواءً في حين هو محلّ اشتراك بين منهجي التّداوليّة ولسانيات النّص، وبالتّحديد في السّياق الخارجي المقامي غير اللّغوي.

4- يشترك المنهج التّداولي ولسانيات النّص في كون القصد عمليّة تسبق التّلفّظ والإنجاز وهو عمليّة كامنة داخل عقل الإنسان؛ يستحضر فيها المتكلّم صورة معيّنة

من عديد الصّور (المقاصد) وينتقي منها ما يناسب كلامه ليصبّها في الأخير في قوالب ويخرجها للمتلقي سواءً على شكل نصٍّ أو خطاب.

5- السّياق والمرجع والقصد: هي محاور تندرج ضمن كلّ المناهج، يَنظر إليها كلٌّ منهج من وجهة مخالفة للمنهج الآخر، بيد أنّ ذلك لا يمنع من اشتراك كلّ منهج منهما مع الآخر في نقطة ما.

6- أفعال الكلام هي نظريّة أو بالأحرى مصطلح حديث النّشأة؛ له ما يقابله لنظريّة استحكمت على دراسات القدامى منذ أمد تحت مصطلحين طالما تكرّر ذكرهما وهما:الخبر والإنشاء.

7- يرتبط السّياق الثّقافي بالمخاطب، والمتلقي بالمخاطب كون الخطاب هو وليد المجتمع، وبالمتلقي كونه المرجع أو السّند الذي يُؤخذ منه طرف الخيط في تفسير النّصوص والخطابات.

8- السّياق والمرجع والقصد وأفعال الكلام؛ هي عناصر تتكاثف فيما بينها ويُكمّل كلّ عنصر منها الآخر، ومن هذا المنطلق لا يمكن للمتكلّم أن يُنتج سلسلة من الجمل بعزل عنصر ما عن الآخر ليستطيع في الأخير التّواصل مع الآخر.

قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر والمراجع**

أوّلا الكتب العربيّة

1-أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس، **مقاييس اللّغة**، تحقيق عبد السّلام بن هارون، د.ط، د.بلد، دار الفكر، ج2.

2-أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب** ، د.ط، بيروت: دار صادر مجلّد11، مجلد1.

3- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، ط1،بيروت: دار الكتب العلميّة، 1989.

4- أحمد الحيزم، **من شعريّة اللّغة إلى شعريّة الذّات قراءة في ضوء لسانيات الخطاب**، ط1، الجزائر: دار الرّوافد الثّقافية، 2016.

5- أحمد الزّعبي، **التّناص نظريًّ وتطبيقيًّا**، د.ط، عمان: مؤسّسة عمّون للنّشر والتّوزيع،2000 .

8- أحمد مدّاس، **لسانيات النصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعري**، ط2، الأردن، أربد: جدار للكتاب العالمي، علم الكتب الحديث، 2008.

9- الأزهر الزّناد، **نسيج النّص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا**، ط1، بيروت: المركز الثّقافي العربي، 1993.

10- آن روبول و جاك موشلار:

- **تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب**، ترجمة لحسن بوتكلاي، ط1،عمان: دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع،2020.

- **التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل**، ترجمة سيف الدّين دغفوس و محمّد الشّيباني، ط1، بيروت: دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، 2003.

12- جميل حمداوي:

- **التّداوليات و تحليل الخطاب**، ط1، د.بلد: مكتبة المثقّف، 2015.

- **محاضرات في لسانيات النّص**،ط1، د.بلد: شبكة الألوكة، 2015.

14- جوليا كريسطيفا، **علم النص**، ترجمة فريد الزّاهي، ط2، الدّار البيضاء: دار توتقال للنّشر، 1997.

15- ج. براون و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة محمّد لطفي الزّليطني ومنير التّريكي، د.ط، الرّياض: جامعة الملك سعود، 1997.

16- جون سيرل، **القصديّة بحث في فلسفة العقل**، ترجمة أحمد الأنصاري، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2009.

17- حافظ إسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرّحيم، **التّداوليات وتحليل الخطاب بحوث مكمّلة**، ط1، عمّان: دار كنوز المعرفة العلميّة للنّشر والتّوزيع، 2013.

18- حمو الحاج ذهبيّة، **لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب**، ط2، تيزي وزو: دار الأمل للنّشر والتّوزيع، 2012.

19- خالد صبري، **اللّسانيات النصيّة في الدّراسات العربيّة الحديثة بحث في الأطر المنهجيّة والنظريّة**، ط1، بغداد، الرّباط، الجزائر، بيروت: دار مكتبة عدنان، دار الأمان، 2015.

20- خلود العمّوش، **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النّص والسّياق مثل من سورة البقرة**، ط1، الأردن، إربد: جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث،2008.

21- خليفة بوجادي، **في اللّسانيات التّداولية مقاربة في التّداولية والشّعر دراسة تطبيقيّة** ،ط1، الجزائر: بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، 2012.

22- خليفة الميساوي، **المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم**، ط1، الرّباط: دار الأمان، 2013.

- دراسات وبحوث مختارة، **تساؤلات التّداولية وتحليل الخطاب**، ترجمة حافظ إسماعيل علوي وذهبية حمو الحاج ومنتصر أمين عبد الرّحيم، ط1، عمان: دار كنوز للنّشر والتّوزيع، 2016.

24- دومينيك مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة محمّد يحياتن، ط1، الجزائر ، بيروت: منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة، 2008.

25- روبيرت ديبوغراند، **النّص والإجراء والخطاب**، ترجمة تمام حسان، ط1، القاهرة: عالم الكتب ،1998.

26- سارة ميلز، **الخطاب**، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة،2016.

27- سعيد حسن بحيري، **علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات**، ط1، القاهرة: دار نوبار للطّباعة، 1997.

28- صابر الحباشة، **لسانيات الخطاب الأسلوبيّة والتلفّظ التّداولية**، ط1، سورية: دار الحوار للنّشر والتّوزيع، 2010.

29- صبحي إبراهيم الفقّي، **علم اللّغة النصّيين النّظرية والتّطبيق**، ط1، القاهرة: دار قباء، الجزء1، 2000.

30- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، د.ط، الكويت: عالم المعرفة، 1992.

31- طه عبد الرّحمان، **اللّسانيات والميزان أوالتّكوثر العقلي**، ط1، الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربي، 1998.

32- عبد الفتّاح أحمد يوسف، **لسانيات الخطاب وأنساق الثّقافة**، ط1، الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، 2010.

33- عمر بلخير، **مقالات في التّداولية والخطاب**، د.ط، تيزي وزو: دار الأمل، 2013.

34- فان دايك، **النصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي**، ترجمة عبد القادر قنيني، د.ط، بيروت: أفريقيا الشّرق، 2000.

35- فرانسواز أرمنكو،**المقاربة التّداولية**، ترجمة سعيد علّوش، ط1، د.بلد: المؤسّسة الحديثة للنّشر والتّوزيع، 1987.

36- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر، **مدخل إلى علم اللّغة النّصي**، ترجمة فالح شبيب العجمي، د.ط، الرّياض: جامعة الملك سعود، د.سنة.

37- فيليب بلانشيه، **التّداولية من أوستين إلى غوفمان**، ترجمة صابر الحباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنّشر والتّوزيع، 2007.

38- محمّد الأخضر الصّبيحي، **مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه**، د.ط، د.بلد: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، د.سنة.

39- محمّد خطابي، **مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، 2015.

40- محمّد العبد، **النّص والخطاب والاتّصال**، د.ط، القاهرة: الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، 2014.

41- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التّراث في مؤسّسة الرّسالة محمّد العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسّسة الرّسالة للنّشر والتّوزيع، 2015.

42- مريم الشّنقيطي، **الخطاب الإشهاري في النّص الأدبي دراسة تداوليّة**، د.ط، ردمك: دار الفيصل الثّقافيّة، 1440.

43- مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي**، ط1، بيروت: دار الطّليعة للطّباعة النّشر، 2005.

44- منذر عيّاشي، **الأسلوبيّة وتحليل الخطاب**، ط1، حلب: مركز الإنماء الحضاري، 2002.

45- نعمان بوقرّة:

- **لسانيّات الخطاب**، مباحث في التّأسيس والإجراء، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة،2012.

- **المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب دراسة معجميّة**، ط1، الأردن: جدار للكتاب العالمي، 2009.

47- يوسف نور عوض، **علم النصّ وعمليّة التّرجمة**، ط1، مكّة المكرّمة: دار الثّقة للنّشر والتّوزيع، 1410.

ثانيا- الرّسائل الجامعيّة:

48- بن الدّين خولة، **الإسهامات النصّية في التّراث العربي**، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه علوم في اللّسانيات النصّية، جامعة وهران أحمد بن بلّة، (كليّة الآداب و اللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها)، 2015-2016.

49- محمّد الأمين مصدّق، **التّماسك النّصي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقيّة في سورة البقرة**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة محمّد الحاج لخضر،(كليّة اللّغة والأدب العربي والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها)، 2015.

50- ليلى كادة، **المكوّن التّداولي في النّظريّة اللّسانية العربيّة ظاهرة الاستلزام التّخاطبي أنموذجا**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللّسان العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة،(كلية الآداب و اللّغات، قسم اللّغة وآدابها).

51- بن يحيى ناعوس، تحليل **الخطاب في ضوء لسانيات النّص دراسة تطبيقيّة في سورة البقرة**، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه في لسانيات النّص، جامعة وهران، (كليّة الآداب واللّغات والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها)، 2013.

ثالثا- الدّوريات:

52- إدريس مقبول، **في تداوليات القصد**، مجلّة جامعة النّجاح للأبحاث العلوم الإنسانيّة – المغرب، المجلّد: 28، العدد: 5.

53- بلقاسم محمّد خمام، **مفاهيم تحليل الخطاب في التّراث العربي ابن وهب رائدا**، مجلّة الأحساء، جامعة الملك فيصل- المملكة العربية السعودية، المجلّد:13، العدد:2.

54- بشير إبرير، **آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه**، مجلّة كليّة الأدب واللّغات، جامعة محمّد خيضر- بسكرة، جانفي وجوان 2012، العددان: العاشر والحادي عشر.

55- خليل خلف شير العامري، **السّياق أنماطه وتطبيقاته في التّعبير القرآني**، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربوية، جامعة البصرة، المجلّد:9، العدد:2.

56- شيتر رحيمة، **التّداولية وآفاق التّحليل**، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد خيضر- بسكرة، الثاني جانفي وجوان 2008، العددان الثّاني والثّالث.

57- عبد الوهاب صديقي، **الخطاب والسّياق في لسانيات التّراث**، مجلّة جذور، أبريل 2015، العدد:40.

58- عمر بلخير، **نظريّة الأفعال الكلاميّة وإعادة قراءة التّراث العربي**، مجلّة الأثر، جامعة تيزي وزو-الجزائر، عدد خاص: أشغال الملتقى الدّولي الثّالث في تحليل الخطاب.

59- عيسى تومي، **الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية من آيات من سورة البقرة**، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، جامعة محمّد خيضر- بسكرة العدد:01، مجلّد:08.

60- فطّومة لحمادي، **السّياق والنصّ دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي**، مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد خيضر، جانفي وجوان 2008، العددان الثّاني والثّالث.

61- نائل محمّد إسماعيل، **الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّص القرآني دراسة وصفيّة تحليليّة**، مجلّة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيّة-غزّة، 2011، العدد:1،المجلّد:13.

62- نعيمة سعديّة، **الخطاب الشّعري بين السّلطة والقصد وفاعليّة القراءة استنطاق لنص أمير من مطر... وحاشية من الغبار الماغوط**، مجلّة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمّد خيضر – بسكرة، 2011، العدد: السّابع.

63- وشّن دلال، **القصديّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللّغة**، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد خيضر، جانفي 2010، العدد: السّادس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمـة	أ- د
الفصل الأوّل: مفاهيم حول لسانيات النّص والخطاب واللّسانيات التّداولية	34-5
المبحث الأوّل: الجهاز المفاهيمي للدّرس التّداولي المعاصر	21-6
1-مفهوم التّداولية	13-6
2- أهمية التّداولية	14-13
3- مستويات التّداولية	15-14
4- قضايا التّداولية	18-15
5- الاستلزام الحواري (التّخاطبي)	21-19
المبحث الثّاني: لسانيات النّص ولسانيات الخطاب في اللّسانيات العامة	34-22
1-اللّسانيات النصّية	29-22
2- لسانيات الخطاب	31-29
3- جدلية النّص والخطاب	34-31
الفصل الثّاني: تجليات الدّرس التّداولي في لسانيات النّص	64-35
المبحث الأوّل: التّداولية بين المرجع والإحالة	46-36
1- الإحالة في لسانيات النّص	38-36
2- أنواع الإحالة	42-39
3- المرجع (الإحالة) في التّداولية	64-42
المبحث الثّاني: السّياق بين النّص والتّداولية	57-47
1- السّياق عند النّصانيين	52-47

2- السّياق عند التّداوليين	**57-52**
المبحث الثالث: المقصديّة في الدّرس التّداولي	**64-58**
1- مفهوم المقصدية عند الدّارسين النّصانيين	**60-58**
2- مفهوم القصد عند التّداوليين	**64-60**
الفصل الثّالث: التّصورات التّداولية في لسانيات الخطاب	**91-65**
المبحث الأوّل: تداولية أفعال الكلام في الخطاب	**76-66**
1- مفهوم نظرية أفعال الكلام	**70-66**
2- أقسام فعل الكلام	**74-70**
3- الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة	**76-74**
المبحث الثاني: مقصديّة المتكلم بين الخطاب والدّرس التّداولي	**83-77**
1- مفهوم القصد	**81-77**
2- أنواع القصد	**83-81**
المبحث الثّالث: السّياق الثّقافي داخل الخطاب	**91-84**
1- مفهوم السّياق	**86-84**
2- عناصر السّياق	**87-86**
3- مفهوم السّياق الثّقافي	**91-88**
الخاتمة	**94-92**
قائمة المصادر والمراجع	**102-95**
فهرس الموضوعات	**105-103**

الملخص

حضيت اللّغة باهتمام بالغٍ وعناية كبيرة منذ أمد؛ إذ تعاقبت على دراستها مناهج كثيرة ونظريات عدّة اشتملت على رؤى وآراء تباينت فيما بينها تارة وتقاطعت تارة أخرى، وقد حاول أصحاب هذه النّظريات ومن خلالها إبراز مكنوناتها ومسائلها التي تقوم عليها. وقد كان للتّداولية الحظّ الوفير من كلّ ذلك؛ فكانت مقاربة وقف فيها دارسوها على محاور عدّة اشتملت على نقاط برزت تجلّياتها بين منهجي لسانيات النّص ولسانيات الخطاب في عناصر باتت ظاهرة المعالم من قبيل الإحالة المقاميّة، والسّياق المقامي، والمقاصد، وأفعال الكلام.

Summary

The language received great attention and great care for a long time; As it succeeded in studying many approaches and several theories that included visions and opinions that diverged between them at times and intersected at other times, and the owners of these theories tried to highlight their components and issues on which they are based. The brokerage was lucky in all of That; It was an approach in which its scholars stood on several axes that included points whose manifestations emerged between the linguistics of the text and the linguistics of the discourse in elements that have become apparent features such as referral, the denominational context, the purposes, and the acts of speech.